جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
والتعليم الفنى
الإدارة المركزية لشئون الكتب

بنك المعرفة المصرى
Egyptian Knowledge Bank

نموذج للمرأة المسلمة

السَّيِّدةُ خَدِيجَةُ

أم المؤمنين

رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا

للصف السادس الابتدائى

العام الدراسى ٢٠٢١ - ٢٠٢٢ م
١٤٤٣ هـ

جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم والتعليم الفنى
الإدارة المركزية لشئون الكتب

نموذج للمرأة المسلمة

السيدة خديجة أم المؤمنين

(رضى الله عنها)

للصف السادس الابتدائى

تأليف
أحمد محمد صقر

إشراف علمى

مستشار التربية الدينية

إشراف تربوى

مركز تطوير المناهج

٢٠٢١ / ٢٠٢٢م ـ ١٤٤٣هـ

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين..

أما بعد...

فيسرنا أن نقدم نموذجًا رائعًا للمرأة العربية المسلمة، ردًّا على من يظلمون الإسلام، ويدَّعون أن المرأة العربية فى ظل الإسلام لا تصلح إلا للبيت، وأن الإسلام يمنع المرأة من المشاركة فى الحياة العامة والعمل، وها نحن نقدم قصة حياة السيدة «خديجة» رضي الله عنها .

* الفتاة العربية المثالية فى أخلاقها وحبها لأسرتها، وطاعتها لوالديها، فنالت حبهما واحترامهما، بل واحترام كل من حولها.

* المرأة العاملة التى اقتحمت سوق العمل لتدير أموالها بكفاءة واقتدار، فتفوقت على كثير من الرجال فى مجال التجارة والإدارة.

* الزوجة الوفية المخلصة الصابرة التى تقف بجانب زوجها فى السراء والضراء، تمنحه الحب والعطف وتزيل عنه همومه وتشاركه كفاحه ونضاله.

* الأم التى أحسنت تربية بناتها وأهَّلَتْهن ليكُنَّ مثلها فى تحمل المسئوليات ويُشرِّفن وطنهن، بل إنها تعدت ذلك واهتمت بتربية أبناء المسلمين وبناتهم لتكون أمًّا للمؤمنين جميعًا.

هذه المرأة رضي الله عنها ، فى الدنيا والآخرة، ففى الدنيا كانت زوجة لسيد البشر أجمعين (محمد) ﷺ، تحملت معه عبء النهوض بالدعوة، فوقفت بجانبه حين تخلى الناس عنه وأعانته بمالها عندما حرمه الناس، وهوَّنت عليه المصاعب التى اعترضت طريقه، وتحملت معه الجوع والعطش وهى الغنية المرفهة، فكانت القلب الرحيم، والصدر الحنون، والفكر السديد، والصبر الجميل، وفى الآخرة بشرها ربُّها - سبحانه وتعالى - بقصر فى الجنة لأنها سيدة نساء أهل الجنة.

وفى الختام نتقدم إلى الله - سبحانه وتعالى - بالدعاء لها، وبأن ينفع بسيرتها أبناءنا وبناتنا..

كانَتْ دارُ خُوَيلِدِ بنِ أَسَدٍ فِى مَكَّةَ، عالِيَةَ البِنَاءِ، واسعة الجَنَباتِ، مَعْروفَةً لِقُصَّادِها بَيْنَ دُورِ القُرَشِيِّينَ الكُبَراءِ، أَصحاب السُّلْطَانِ والنِّعْمَةِ والثَّراءِ.

تُعْلِنُ بِقُرْبِها مِن الكَعْبَةِ عَنْ مَنْزِلَتِها العَظِيمَةِ، وما لَها مِنَ المَكانَةِ الكَبِيرَةِ بَيْنَ تِلْكَ الدُّورِ، تَزِينُها السيدة خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها، وتَمْلَؤُها بِالبِشْرِ والسُّرورِ.

فَقَدْ كانَتْ فَتاةً جَمِيلَةً، ذَكِيَّةً، مَرِحَةً، فَصِيحَةَ اللِّسَانِ، طَيِّبَةَ القَلْبِ، يُحِبُّها مَنْ يَراها ويَتَعَلَّقُ بِها، لِعَطْفِها وحَنَانِها، وما تَمْتَازُ بِه مِنَ الصِّفَاتِ الطَّيِّبَةِ، الَّتِى لا تُوجَدُ فِى كَثِيرٍ مِنْ بُيوتِ مَكَّةَ المُتَكَبِّرَةِ، المُتَعالِيَةِ[١] بِالحَسَبِ[٢] والنَّسَبِ والكَثْرَةِ[٣] والغِنَى.

---

(١) المتكبرة.

(٢) الحسب ما يعده المرء من مفاخر آبائه وعظمتهم.

(٣) كثرة عدد أفراد القبيلة، وكانوا يتفاخرون بذلك.

وامْتازَ خُوَيْلِدٌ أَبُوها بَيْن قُرَيْشٍ، بِالسِّيادَةِ والأَمْرِ والنَّهْى، يُؤْخَذُ رَأْيُه فِى المُشْكِلاتِ، ولا تُقْضَى الأُمورُ بِدُونِه، وحَوْلَه أُسْرَتُه الكَبِيرَةُ العَرِيقَةُ، تُسانِدُه وتَقِفُ بِجانِبِه.

كمَا عُرِف بِعَطْفٍ شَدِيدٍ علَى الفُقَراءِ والمسَاكِينِ، ورَحْمَةٍ واسِعَةٍ بِالضُّعَفاءِ والمُحْتَاجِينَ.

فى هَذِه الدَّارِ الكَرِيمَةِ الثَّرِيَّةِ، الواسِعَةِ، نَشَأَت السيدة خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها، راضِيَةً هادِئَةً، لا تُبْطِرُها[1] النِّعْمَةُ، كمَا تُبْطِرُ الكثِيرَ مِنَ النَّاسِ. بَلْ أَحَسَّت بِأَنَّ هَذِه النِّعْمَةَ الَّتى تَمْرَحُ فِيها، إنَّما هِىَ عَطاءٌ مِنَ اللهِ الرَّزَّاقِ، يَنْبَغِى أَن يُقابَلَ بالشُّكْرِ لِمَنْ وَهَبه ومنَحَه.

ووَجَدَت فِى عَوْنِ المَحْرومِينَ ومُسَاعَدَةِ المُحْتَاجِينَ ما يَنْهَضُ بِذَلِكَ الشُّكْرِ، فَما رَدَّت مُحْتاجًا، ولا خَيَّبَتْ راجِيًا فِى إحْسَانٍ.

ولَم تَخرُجْ فِى تِلْكَ الصِّفَاتِ الطَّيِّبَةِ، عمَّا انْحَدَرَ إليها مِنْ أهلِها وقومِها، وخاصةً أباها الذى يَفِيضُ قلبُه بالحَنانِ والرَّحمةِ بكُلِّ إنسانٍ.

(١) لا تفسدها.

وقد رأى هوَ فيها كثيرًا من صِفاتِه، فزاد حُبُّه لها، وسَرَّه فيها قلْبُها الكبيرُ، ونفسُها الطيِّبةُ، وذكاؤها اللَّمَّاحُ[1]، وعزيمَتُها القوية، وإدراكُها السريعُ، وحُسْنُ تَصْرِيفِها لِلأُمورِ، فأرَاها من قلبِهِ الرِّضا، وأَبْدَى لَها ارْتِيَاحَه التَّامَّ لِكلِّ ما تفعل وما تترك.

فإذَا جلَسَ في الدارِ، وتابَعَ باهتمامٍ وُجُوهَ نشاطِها، وخِفَّةَ حَركاتها، وما تُشِيعُه[2] من البهجةِ والأُنسِ، ابْتسم ابتِسَامةً راضيةً حانِيَةً، وجعلَ يُقلِّب كفَّيه عَجَبًا، وهو يحدِّثُ نفسَه قائلًا:

ـ ما أَظْلَمَ أولئِكَ الَّذين يكرَهونَ البَنَـات! وما أَقْسَى حُكْمَهم عَلَيهن! وكيفَ تُقْدِم تِلك القلوبُ المتحجِّرة على وَأْدِهِـن[3]؟! أَليسَ فِيهن مثلُ خديجةَ رضي الله عنها؟!

إنَّها وَرَبِّ الكَعبةِ رَيْحانَةُ الدارِ، وبهجَةُ الأُسْرَةِ، ونورُها الوَضَّاءُ!

وكثيرًا ما كان يَدْعُوها إليه ويُحدِّثُها، ويُطِيلُ حديثَها،

---

(١) السريع الفهم.
(٢) تبعثه.
(٣) دفنهن أحياءً.

مستَطيبًا هذَا الوَقتَ الَّذِى يفرغُ فيه من مَشاكِلِه الكثيرةِ، يوَدُّ لو طالَ، وطالَ معه ذَلِكَ الحديثُ الشَّهِىُّ.

وكل مَرَّةٍ يَهُمُّ بالتَّحدُّثِ إلَيها فى أَمْرٍ مِنَ الأُمورِ، ثم يُمْسِكُ[1] ويُشَعِّبُ الحديثَ، فحياؤُها الشديدُ، يَمْنَعُه من أن يُفاتِحَها فِى شأْنِ أولئِك الفِتيان، الَّذِين يَطرُقونَ بابَه كلَّ صَباحٍ ومَساءٍ، يطلبُون يَدَها[2]، راغبين فى زِينَةِ الدُّنيا؛ مِنْ جَمالٍ باهرٍ، وحَسَبٍ ظاهِرٍ، ومالٍ كثيرٍ، وذكاءٍ نادِرٍ.

وقد عَصَمَها[3] ذلك الحياءُ، من أن تهْتَمَّ بأولئكَ الخُطَّابِ، حينَ تصِلُ إلى مسامِعها أخبارُهم، عن طرِيق الجوارِى، والجاراتِ، والصُّوَيْحِباتِ، وأَنَّهم يَبْتَغُون إلى أبيها المُصَاهَرَةَ[4]، ويَتَوَسَّلُون إليهِ بما فِى أَيْدِيهم مِنَ الثَّراءِ، وما وَراءَهم من الحَسَبِ الرَّفِيعِ.

لَم تَلْتفِت إِليهم، وانْصرَفَت إلى شئُون البَيْتِ وتَدْبير

(١) يمتنع.
(٢) يريدون زواجها.
(٣) حفظها.
(٤) الصلة بالزواج.

أُمـوره، لاَ تَشْغَلُ نَفسَها بالتفكيرِ في زَواجٍ والاهْتِمَامِ بِخاطبٍ، واثِقَةً مِن أن أباها الحَكِيمَ سيختارُ لها خَيْرَ الأَزواجِ، فهو خبيرٌ بالرجالِ.

وما أكثرَ ما سَمِعته وهو يتحدث عن الزَّوْجِ الصَّالحِ، ويقولُ: إنه الجامِعُ لِصفَات المرُوءَةِ، والشَّهَامَةِ، والكرَمِ، لا يَستَهْوِيه ما يستَهوِي شبابَ مكةَ وبعضَ شيوخِها ممَّا لا يُرضِي الذكِيَّ العاقِلَ، مَنْ يَزِنُ الأمورَ ويُقدِّر التَّبِعاتِ[1] ويَحْمِلُ الأَعْباء[2]، لا يَدْفَعُه الطَّيْشُ إلى ما يَحُطُّ من أقدارِ الرِّجالِ، ويُحَطِّمُ مراكِزَهم العاليةَ، وكثيرًا ما أكَّدَ لها أن عَلاقَةَ الرَّجُلِ بالنَّاسِ صُورَةٌ من علاقَتِه بأهلِ بَيْته، فالكريمُ الطَّيِّبُ الشَّهمُ، هو دَائِمًا في كلِّ حالٍ على سَواءٍ.

وذاتَ مَساءٍ، ازْدَحَمت الدارُ بجماعةٍ من كُبَراء القَوْمِ، من بَنِي مخْزُومٍ، أطَالُوا الزِّيارَة، وأخَذُوا بينَهم بأطرافِ الحديث، وانْتَقَلُوا به هُنا وهُناك، حتَّى انْتَصَفَ اللَّيلُ، فقاموا إلى دُورهم،

(١) يدرك المسئوليات.

(٢) ينهض بالمهمات الثقيلة.

وانْصرَفوا بعدَما ودَّعَهم خويلدٌ أحسنَ وَداعٍ، وخدِيجةُ ﵂ غيرُ مُهْتَمَّةٍ بمَا تَرَى، فَلَيْسَت هذِه أوَّلَ زيارَةٍ لَهم ولا لِغيرِهم، ولا أوَّلَ مَرةٍ يطول فيها الحديثُ ويَتَشَعَّب، فطارِقو باب خويلدٍ كثيرونَ ومَقاصِدُهم مُختَلِفَة.

ولمَّا انْفَضَّ الجَمْعُ، ذهبَ خويلدٌ إلى حُجرتِه، وقَضَى بها وَقتًا طَويلًا، يُحادثُ زوجتَه فاطمةَ بنتَ زائِدَةَ بنِ الأَصَمِّ، وتُحادِثُه، ثم خرَجا وقد بدَت علَيهما علاماتُ الرِّضا وأماراتُ الارْتياحِ، وجلَسَ خويلدٌ فِى الفِنَاءِ، وجلَست بجانِبه زَوْجَتُه فاطِمَةُ، يَبْدو علَيها السرور والرِّضا.

ثم دعا ابْنَته خديجةَ ﵂، فجاءَتْ تَمْشِى علَى اسْتِحياءٍ، ووقَفَت أمامَه فارِعَةَ القَوام، متَلأْلِئَةَ الوَجْه، يَنْعَكِسُ ضوْءُ المِصْباحِ الدُّرِّى على وَجْهِها، فَيزيدُه جَمالًا على جَمالٍ، وهو يتأَمَّلُها باسِمًا، ولم تجلسْ إلاَّ بعدَ مَا أَذِن لها بالجُلوسِ قائِلًا:

ـ اقْعُدِى يا خَديجةُ.

سأتحدَّثُ إليكِ فى أمرٍ، وأَوَدُّ أَنْ أعرفَ رأيكِ الصَّريحَ فيه، فاسْمَعِى، وفكِّرِى، ولا تُقِيمِى وَزْنًا لأَىِّ اعْتِبارٍ لا تَجِدِينَه مُوافِقًا.

أَطالَ خوَيْلِدٌ النَّظرَ فى وَجْهِ خدِيجةَ المستَدِيرِ ، وفى عينيها النَّجْلاوَيْن [(١)] وثغْرِها الباسمِ، ثم قالَ فى حَنان :

ـ مَا رَأْيُكِ يا خديجةُ فيما أَعْدَدْنا لِقَافِلَةِ الشَّامِ ؟

فتَلَقَّتِ الفتاة السُّؤَالَ بِابْتِسَامةٍ عَرِيضةٍ، كشَفَت عن أَسنانٍ مَرْصوصَةٍ كأَنَّها الدُّرُّ المنْظومُ، ثم قالَت فى أدبٍ جَمٍّ [(٢)] :

ـ قافِلَةٌ مُوَفَّقَةٌ، وتجارةٌ رابِحةٌ إنْ شَاءَ الله، حَوَتْ ما أَوْصَى بِه عُمَلاؤنا هُناك، من كلِّ سِلْعَةٍ تَجِدُ فى تلكَ البِلادِ إقبالًا شدِيدًا، وأُعِدَّت أحسنَ إعدادٍ، ونُظِّمَت خيرَ تنظيمٍ.

قال خُويلد، وابْتِسَامَتُه تَزْدَادُ اتِّسَاعًا فوق شفَتَيه:

ـ وما رأْيُكِ يا خديجةُ فى رجالِنَا وعُمَّالِنا، أُولئِك الَّذِين سنَبْعَثُهم فى القافِلَةِ ؟

---

(١) الواسعتين.

(٢) كثير.

قالت الفَتاةُ، وقد بدَت فى وَجهها بَعْضُ مَلامِحِ الحيرَة :

- إنَّهم ماهِرُون مُدَرَّبُون، يَعرِفُون ما يَأْخُذون وما يتركُون، وهم معَ تلك المَهارَةِ أُمناءُ مُخْلِصونَ، والأمانَةُ خيرُ ما يُبْتَغَى فيمَنْ يَبيعُ ويَشْتَرِى، وتُلْقَى إلَيْهِ الأموالُ، يَتَصَرَّفُ فيها وهُو بعيدٌ عن أصْحابِها.

فنظرَ إلى أمها فاطمةَ باسمًا، ثم أعاد النظرَ إليها وقال فى رِفقٍ:

- وما رأيُكِ يا خديجةُ فى أَمْهَرِ تجارِ مكةَ اليومَ؟ ومَنْ فى نظرِك أقدَرُهم على الرِّبح الوَفِيرِ؟

ففكَّرَت قلِيلًا، ثم سأَلت فى أدبٍ :

- أىَّ رِبْحٍ تَعْنِى يا أبَتاهُ؟ الرِّبْحَ الحَلالَ أَمِ الرِّبحَ الحَرامَ؟

سارع خُويلدٌ قائلًا:

- الربحَ الحلالَ طَبْعًا يا خديجةُ! فالرِّبحُ الحرامُ لا يدُومُ، إنْ نَالَه صاحِبُه مرَّةً فلَن ينالَه أُخرى، ولن يَنْفَعَه ما رَبِح، بلْ يُسَلِّط اللهُ عليه ما يُضيِّعُه جميعًا، يَنْسِفُه ولا يُبقِى منه باقِيةً، وهو لا يَذْهَبُ وحْدَه، بلْ يَأْخُذُ فى رِجْلَيه سِواه من الرِّبح الحَلالِ.

وإنَّما أسأَلُك عنِ المَهَرَةِ فى البَيعِ والشِّراءِ الحَلالِ، والرِّبحِ الحلالِ الطَّيِّبِ، الذى يَسْعَى بِحَلاوَته إلَى الطَّيِّبين الصَّادِقينَ، منْ لا يَغُشُّون ولا يَخْدَعون، ولا يَتلاعَبون فى الكيلِ والمِيزانِ..

فأخذَت تَعُدُّ بَعْضًا مِن التجار الَّذِين اشْتهرُوا بالصِّدق، وعُرِفوا بالأمانَةِ، وكلَّما سَكَتَتْ اسْتَزادَها حتى صَمَتَتْ، ونَظَرت إلى أُمِّها تقولُ بعينيها: هؤُلاءِ خيرُ مَن أعْلمُ يا أُمَّاه فماذا بَعْدُ؟! وماذا نَستَفِيدُ من عَدِّ هؤلاءِ وغيرِ هؤلاءِ؟!!

وقدْ قرأَ أبوها ما قرأَتْ أمُّها فى عينيها، فقالَ مُتَرَفِّقًا:

- وما رأيك يا خديجة فى عتيق بن عابد؟

سَكَتَت لحظةً، ثم تابَعَت كلامَها سائِلةً فى دهشةٍ:

- لِمَ تسألنى عنه يا أبتاه، أتريد أن تُسَلِّمَهُ أمرَ تجارتنا هذِهِ المرَّةَ فى القَافِلَةِ؟!

فنظرَ خُويلدٌ إليها ثم قالَ فى حنَانٍ:

- أوَد أَنْ أُسَلِّمَهُ أَمْرًا أَعْظَمَ من التجارَةِ، وأَغلَى من المالِ! أَوَدُّ أنْ أُسَلِّمَه أَمَانَةً كبيرَةً، لا تُقَدَّرُ بكنوزِ الأرضِ كلِّها!

فأَدْركَت خديجة رضي الله عنها ما يَرْمى إليه أبوها، من مُحاوَرَته، فاحْمَرَّ وجْهُها خَجَلًا، وأطرقَتْ صامِتَةً، لا تَتَحَدَّثُ ولا تُجِيبُ.

وسادَ سكونٌ طويلٌ، قطعتْه أُمُّها قائِلةً فى بَسْمَة آمِلَةٍ:

ـ ما رَأْيُك يا خديجة فى عتيق؟..

أَطْلَقَ لكِ أَبوك الحُرِّيَّةَ، وقال لكِ: فكِّرى ولا تَهْتَمِّى بغيرِ ما تَجِدِينَ مُوافِقًا من الرَّأْيِ، وهو يَحْتَرِمُ رأيَك ويُقَدِّره، وقد علِمْتِ ما أرَادَ من عَرْضِ عتيقٍ علَيكِ، وأنَّه يَرْجو أن يكونَ الخاطِبَ اللاَّئِقَ، تَرْضَى عنه نفسُك، وتختارُه دُونَ تَأْثِيرٍ.

فازداد وَجه خديجةَ رضي الله عنها احْمرارًا، وظلَّت مُطْرِقةً طويلًا من الوقْتِ، ثم جَمَعَت أطرافَ شجاعَتِها، وحاوَلت أن تتكلَّم، فتعَثَّرتِ الكلماتُ فى فَمِها، وأبوها وأمُّها ينظُران إليها باسِمَين، ويَنْتظِرَان الجوابَ.

ومضَت فَتْرَةٌ طويلةٌ، وهى فى صَمْتِها، ووجهها يزدادُ احْمرارًا، فلمَّا أعادَ أبوها السؤَال علَيها، جَمَعت أطرافَ شجاعتها مرَّةً أخرى، ثم قالت فى صَوْتٍ يُهَدْهِدُه[1] الحيَاءُ:

---

(١) يحركه حركة خفيفة منتظمة.

ـ وهلْ بعدَ رَأْيِ أَبِي من رَأْيٍ ؟!

فأَدْناها أَبوها منه، وطَبَعَ قُبْلَةً حانِيَةً على جَبِينِها، وقُبْلَتَين علَى خدَّيها.

أخَذَت الأُسْـرةُ تستعدُّ ليوم الزفافِ وتجهِّزُ العروسَ بما تحتاجُه فى حياتِها الجديدَةِ، وجاءَ يومُ الزفافِ وامْتَلأَت دارُ خوَيْلدٍ بالقَريباتِ والصَّاحِبات، وجاءَت نِسْوَةُ بَنِى مَخْزوم، يَحْمِلْنَ الهَدايا الغالِيَةَ الَّتِى بَعثَها عتيقٌ، وجاءَت نسوةُ أَسَدٍ بما جَهَّزْنَ من ثَمين الهَدايا.

وجلست الأم إلى ابنتها تنصحها بما يجعل السعادة تملأ بيتها الجديد، وتعلمها أن الزواج تعاون بين الزوجين، ولمَّا جاءَ يومُ الزفافِ السعيدِ نُحِرَتِ الذَّبائحُ، ودُعِيَتْ مَكةُ لِلْوَلائِمِ[1] الَّتِى سَتُمَدُّ فى بيتِ خوَيلد، وانْبَعثَ من البيتِ الغِناءُ الرَّقيقُ، وأَخَذَتِ الماشِطاتُ تُزَيِّنَّ العَروسَ، ويَزِدْنَها جَمَالًا على جمالها.

كان اليومُ بَدِيعًا رَقِيقَ النَّسِيمِ، قَضَتْه مكةُ كلُّها فى حرَكةٍ

(١) جمع وليمة، وهى طعام العرس أو غيره.

دائِبَةٍ[١]، من بيتِ خوَيلد وإلَيه، حتَّى أقبلَ المَساءُ فَعُقِدَ القِرانُ بجانِبِ الكعبةِ، ثم طافَ الناسُ حولَهَا شاكِرينَ داعِينَ، وانْطَلَقَتِ الزَّغاريدُ مِنْ بيتِ خُوَيْلِدٍ، تَتَجاوَبُ[٢] في جَوانِبِ مكةَ، تُفْرِحُ الأهلَ والأحبابَ.

ودخلَت السيدة خديجةُ ﵂ أبوابَ الحَياةِ الجديدَةِ، كبيرَةَ الأمَلِ، شديدةَ الطمُوح[٣]، لكِنَّها مع ثِقَتِها الشَّديدةِ بِنَفسِها، وحُبِّ زَوْجِهَا لَها، وحديثِ الناس عن مُسْتَقْبَلِها الباهِرِ، كانت تُحِسُّ بِخَوْفٍ شديدٍ من الأيام، يُحَدِّثُها قلبُها بِأَنَّها تُخْفِي بداخلها، شيئًا لا يَعْلَمُه غَيْرُ علاَّمِ الغُيوبِ.

(١) مستمرة.
(٢) تتردد.
(٣) التطلع إلى الأفضل.

- الفتاة العربية العاقلة الرزينة تحظى بحب واحترام أهلها وجيرانها.
- كانت المرأة العربية فى الجاهلية تستشار ويؤخذ برأيها فى كثير من الأمور، ولم تكن مهملة لا رأى لها كما يدعى بعض المغرضين.
- بعض الأسر الجاهلة كانت تفضل البنين على البنات بل وصل الأمر ببعضهم إلى وأد البنت أى: دفنها حية فى التراب.
- الأسر الحكيمة العاقلة كانت تعلم بناتها وتنشئهن على الفضيلة ومكارم الأخلاق.
- الأب كان يستشير ابنته ويأخذ برأيها عند زواجها، كما كانت الأم تتولى نصح ابنتها قبل زواجها حتى تضمن لها السعادة فى بيتها.

السؤال الأول:

«فى هذه الدار الثرية الواسعة، نشأت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها راضية هانئة، لا تبطرها النعمة، كما تبطر الكثير من الناس، بل أحسـت بـأن هذه النعمة التى تمرح فيها، إنما هى عطاء من الله الرزاق ينبغى أن يقابل بالشكر لمن وهبه ومنحه، ووجدت فى عون المحرومين ومساعدة المحتاجين ما ينهض بذلك الشكر».

(أ) اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يلى:

- «الثرية» معناها: (المضيئة - الكبيرة - الغنية)
- معنى «تبطرها»: (تفرحها - تفسدها - تحزنها)
- معنى «راجيا»: (طالبا - متمنيا - ممتنعا)

(ب) أحست السيدة خديجة - رضي الله عنها - بواجبها نحو الله المنعم. فماذا فعلت؟

(جـ) ضربت السيدة خديجة رضي الله عنها المثل فى حسن التصرف فى النعم التى أنعم الله - تعالى - بها عليها. وضح ذلك.

السؤال الثانى: املأ كل فراغ مما يلى بالكلمات المناسبة:

(ا) قرب دار خويلد بن أسد من الكعبة يدل على .... العظيمة و .... الكبيرة.

(ب) كانت السيدة خديجة رضي الله عنها ترى نعم الله .... من الرزاق تستحق وتستوجب ....

(جـ) والد السيدة خديجة رضي الله عنها كان يرى فى .... البنات ظلمًا لهن ودليلاً على .... قلوب من يفعلون ذلك؛ لأن فيهن مثل خديجة.

(د) كان والد السيدة خديجة رضي الله عنها يأخذ رأيها فى أمر .... وكانت أمها تنصحها وتعلمها أن الزواج .... بين الزوجين.

السؤال الثالث: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلى:

(ا) نشأت السيدة خديجة رضي الله عنها فى بيت كريم ثرى له منزلة عظيمة. (   )

(ب) كان كل العرب فى الجاهلية يئدون البنات حين يولدن. (   )

(جـ) كل العرب فى الجاهلية كانوا يزوجون بناتهم دون أخذ رأيهن. (   )

(د) عتيق بن عابد أول زوج تزوجته السيدة خديجة رضي الله عنها. (   )

السؤال الرابع:

«ما أظلم أولئك الذين يكرهون البنات! وما أقسى حكمهم عليهن! وكيف تقدم تلك القلوب المتحجرة على وأدهن؟».

(أ) من قائل العبارة السابقة؟ وعلام يدل هذا القول؟

(ب) تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

- «وأد البنات» معناه: (إهمالهن - تحقيرهُنَّ - دفنهن أحياء)

(جـ) ماذا تعرف عن موقف الإسلام من «وأد البنات»؟

السؤال الخامس:

يقول الله - سبحانه وتعالى - :

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾

(أ) باستخدام الحاسب الآلى وأسطوانة تفسير القرآن الكريم اذكر اسم السورة التى وردت بها الآيتان السابقتان ثم اكتب تفسير الآيتين.

(ب) وضح مصير من قام بوأد البنات كما فهمت من تفسير الآيتين السابقتين.

٢ عزيمة ومهارة

مَنَحت خديجةُ ﵂ زَوْجَها ما تَمْنَحُه المرأةُ العاقِلةُ الفاهِمةُ: أَطاعَتْه، واحْتَرمته، وشجَّعته، وفتَحت قلبَها لَه، فوَجَدَ فِيه عَطْفًا أَنِسَ بِه وارْتَـاحَ إليه، وحَنانًا وجَدَ فيه السَّعَادَة التى يَرْجوها، فاطمَأَن إليها، ومنحَها من قلْبِه مِثْل ما مَنَحتْه من قلبِها، ولم يَبْخَل عليها باسْتِشَارَتها فيما يَقُوم بِهِ من أُمور.

وانْقَضَى العام، فَزادتِ الدَّار بهجةً، بمولودَةٍ وَثَّقَتْ رِباطَ المَحبَّةِ بينَ الزَّوجَين، واشتَدَّ تَعَلُّقُ أَبيها بها، إذْ كَانت كبيرةَ الشَّبَه بأُمِّها خديجةَ ﵂، واسِعَةَ العَيْنَيْن، طَوِيلةَ الشَّعْرِ، مُستَدِيرَةَ الـوَجْهِ، جَمِيلةَ الصُّورةِ، نـافِذَةَ النَّظَراتِ، تُبَشِّرُ بمستقبل باهرٍ يَسُرُّ قلبَ والديها.

ولَمَ يَكُنِ الزَّوجانِ السعيدان، يَعْلَمانِ أَنَّ القَدَرَ، قَد كَتَبَ فى صَفْحَة البَقاء لِهذا الـزَّواجِ سُطورًا قَلِيلةً، فلم يَنْتَصِفِ العامُ

الثَّانِى حتَّى مات عَتِيقٌ، تاركًا فى قلبِ خديجةَ ﵂ جُرْحًا واسِعًا، وفى نَفْسِها حَسْرةً بالِغَة، فَقَدْ فَقَدَت فِيه الزَّوْجَ الرَّضِىَّ، المُخْلِصَ الوَفِىَّ، وإن كانَ قد تَرَك لَها ولابْنَتها ثَرْوَةً ضَخْمَةً، من المالِ والتِّجَارَةِ والضِّياعِ الواسِعَةِ.. وحَزِنَت خديجةُ على زَوْجِها حُزْنًا شَدِيدًا.

ومرت الأيامُ والشهورُ والسنون وخديجةُ ﵂ لا هَمَّ لها إلاَّ الاهتمام بابنتِها وإدارةِ تجارتِها التى تولَّتْ مسئوليتها بعدَ وفاةِ زوجِها عتيق، ودخلَ عليها أبوها يومًا يحدِّثُها عن طلبِ النَّبَّاش بن زرارة التميمىِّ الزواجَ منها.

تحيَّرتِ السيدةُ التى وهبتْ نفسَها للعنايةِ بتربيةِ ابنتها والاهتمامِ بها، وأخبرتْ أباها بذلك، ولكنَّ أباها أخذَ يعددُ لها الصفاتِ الكريمةَ التى يتمتعُ بها النَّبَّاشُ حتى وافقتْ أخيرًا على الزواجِ مرةً ثانيةً وسلَّمت أمرَها إلى الله.

وَجدَ النَّبَّاشُ فى خَدِيجةَ ﵂، الزَّوْجَةَ الوَفِيَّةَ العاقِلة المُدَبِّرةَ، فأخلَص لَها، ومَنَحها قلبَه كما منَحها عتيقٌ قلبَه من قبلُ.

ووجدَت فيه الزَّوجَ المخْلِصَ العَطوف البارَّ بأهله، فَبادَلَتْه حُبًّا بِحُبٍّ، وإخلاصًا بإخلاص.

وكان هذا الزَّوجُ عاقِلًا، مِقْدامًا، كريمًا كَثيرَ المالِ، واسِعَ التِّجارةِ، فشارَكَتْه برأيها السَّديدِ[1]، كمَا كانت تُشارِك عَتيقًا: أَشارَت علَيه، وشاوَرَها واقْتَنَع بِرأْيها، وأظلَّت بَيتَهما السَّعادةُ، التى تُظِلُّ بَيْتَ الزَّوجَين العاقِلَين المتُفاهِمَيْنِ، اللَّذَين يتَبادَلان المَحَبَّة والاحْتِرامَ.

وزادَها حُبًّا لَه وتقْدِيرًا، ما وَجَدَت فِيه مِنَ الكَرَمِ فى مُعامَلَةِ ابْنَتِها اليَتِيمَةِ، فقَدْ أحبَّها، وأَحلَّها من قلبِه مَحَلَّ الأَبْناءِ، يُلاعِبُها، ويُضاحِكُها، ويَحْمِلُها على كَتِفِه، ويُقَبِّلُها، ويُلَبِّى رَغباتِها، ولا يعودُ إلاَّ بهديَّةٍ لَها تُفرِحُها وتَزِيدُها تَعَلُّقًا به، وتَزِيدُ خديجةَ رضي الله عنها تَقْدِيرًا لَه، حتى لَم يَعُد كثيرٌ من النَّاسِ يَعرِفُ أنَّها يَتِيمَةٌ فى حِجْرِه، ولا يَرْتَابُونَ[2] فى أنَّها ابْنَتُه العَزِيزَةُ.

ولم يَنْقَضِ العامُ، حتَّى اشْتَدَّتْ أواصِرُ[3] تِلْكَ المحبَّةِ بينَ

---

(١) الصائب، الصحيح.
(٢) لا يشكون.
(٣) روابط.

الزَّوْجَين بِرِباطِ الوَلَدِ، الذى يَهْواه العَرَبُ، ويُكْثِرون الزَّواج مِن أجلِه، ويَحِنُّونَ إليه إذا لم يُرْزَقوه، ويجِدون فى حِرْمَانه ألمًا لاذعًا.

فأصبحَ «هالَةُ» ابْنُهُما قُرَّةَ عَيْنٍ لَهُما، وتَوَفَّرَت خَدِيجةُ ﵂ علَى رِعايتِه مَعَ ابْنَتِهَا، وغَدَتْ مَضْرِبَ المَثَلِ بمكةَ فى تَرْبِيَةِ الأَبناءِ، كما هِىَ مَضْرِبُ المَثَلِ فى رِعايَة الأزْوَاجِ.

وزادت هذه الحالُ الهَادِئَةُ، النَّبَّاشَ نَشاطًا وحُبًّا فِى الحياةِ، فزادَ خَيْرُه، واتَّسَعَ عمَلُه، وتدَفَّق علَيه المالُ، فوقَ ما هُوَ فيه من الثَّراءِ والخيرِ الوَفِير، وصَارتْ خديجةُ ﵂ تُنَادِيه «أَبا هالَةَ»، فأحبَّ النَّبَّاشُ هذا الاسم.

ثم دارَ العامُ وأقبلَ العامُ الثَّانِى، يَشْهَدُ ولَدًا ثانيًا، سمَّاه أَبوه «هِنْد»، وكادَ يَطِير فرحًا بما مُنِحَ من فضلِ اللهِ، فأَعطَى الفُقراءَ، ومنَح المساكينَ، ووَسَّع على المُحتاجِينَ، وأقامَ الوَلائِم الفاخِرةَ للسَّادَةِ والكُبَراءِ، وبَسَطَ يَدَه فى يَوْمِ العَقِيقَةِ[1]، فرأَى الناسُ

(١) يوم السابع.

ما لَم يَرَوْا مِن قبلُ من أَلْوان الكرَمِ والتَّرحيبِ. وطافَ بِالبَيْتِ[1] شاكرًا رَبَّه الَّذِى أَكْثَرَ من ولده، وزادَ تَعَلُّقًا بِخَدِيجة ﵂ وابْنَتِها.

ولكن خديجة ﵂ ابتليت بوفاة أبى هالَة فَجْأَةً، وعاشت خديجةُ ﵂ مَرَّةً أُخْرَى دُونَ زَوْجٍ، فذاقَت ثانِيَةً ما ذاقَت من قبلُ من التَّرَمُّلِ[2]. وَقَدْ كانَ موتُ أَبِى هالَة جُرْحًا واسِعًا فوقَ جُرْحٍ عتيقٍ، فَلَمْ يَجِفَّ لها دَمْعٌ، ولَمْ تَخِفَّ لها لَوْعَةٌ[3].

وبعد فترة مات والدها خويلد، وحزنت السيدة خديجة ﵂ على فقدان والدها كما حزنت على فقدان زوجها.

ولكنها تغلبت على حزنها بعزيمة قوية، وقررت أن تنهض بتجارتها وتستثمر الأموال التى تركها لها زوجاها ووالدها فقامت باستئجار الرِّجالِ الَّذِين يُسافِرون بِتجارَتِها، فَسَيَّرتْ تِلكَ التجارَةَ، كما كانَت فِى حيَاةِ زَوْجَيْهَا وحياةِ أَبِيها، جاعِلَةً هَمَّها أَبْناءَها ومالَها وأَعْمالَها الواسِعَة.

وَسَارَتْ تِجارةُ خديجةَ ﵂ كما كانت تَسِيرُ تجارةُ زَوْجَيها،

---

(١) الكعبة.

(٢) فقدان الزوج بالموت.

(٣) حُرْقــة.

وكَما تَسِيرُ تجارةُ قُرِيشٍ، وأصبحَ الكثيرون يَعْمَلون لَدَيْها، ولا يَجِدون غَضَاضَةً[1] فى خِدْمَتها، بل يفخَرون بأَنَّهم يَعْمَلونَ لَدَى هذه السَّيِّدَةِ، المُدَبِّرَةِ العاقِلةِ الحَكِيمَةِ، التى فَهِمَتْ أُصولَ التِّجارةِ ودَقائِقَها، وعرَفَت ما يَكْثُرُ عليه الطَّلَبُ فِى نَاحِيَةٍ، وما يَقلُّ عليه الطَّلَبُ فى ناحِيَةٍ، وعَقَدَت صِلاتٍ تجاريَّةً كثيرةً وَثِيقَةً فى جميعِ البلادِ.

وصارَت ذاتَ رَأْيٍ فِى شُئُون المالِ، لا يَأْنَفُ[2] كَثِير مِن كبارِ التجارِ، أنْ يَسْأَلها ويَسْتَمِعَ إلى تَوْجِيهاتِها، ويعملَ بِها، لأنَّهم جَرَّبوا آراءَها وتوجيهاتها وَاقْتَنَعُوا بِنَجاحِها.

وأَصْبَحَ بَيْتُ السيدة خَدِيجَةَ التِّجاريُّ رضي الله عنها، مِن البُيوتِ الكبيرةِ فى مكة، وصارتْ مَخازِنُها مِن أَوْسَعِ المخازِنِ وأَشْهَرِهَا، وامتازَ مالُها وتِجارَتُها بالحَلالِ والحَقِّ، لا نُقْصَانَ، ولا تَطْفِيفَ[3] فى الكَيْلِ والمِيزانِ، ولا شَيْءَ مِن هذَا المالِ فِى

(١) ذلة ومنقصة.
(٢) لا يتكبر.
(٣) نقص الكيل والميزان، أو زيادة فيهما.

طَرِيق الرِّبا[1] الَّذى شاعَ فِى ذَلكَ الوَسَطِ، واسْتَفْحَلَ واسْتَمْرَأه الكثيرون، مِمَّن يَنْشُدون الثراءَ الواسِعَ وإنْ امتصُّوا من أَجْلِه الدِّمَاءَ.

كما أنَّها عَرَفَت حقَّ الفُقراء والمُحْتاجِين، فأَخْرَجَتْه راضِيَةَ النَّفْسِ طَيِّبَةَ الفُؤَادِ، مَسْرورةً بما تُقدِّم، وبما تُفَرِّجُ من حاجَةٍ، وتُزِيلُ من كَرْبٍ.

وفى يوم من الأيام، ذهبَ إلَيها أبو طالب بنُ عَبدِ المطَّلِب بنِ هاشِمٍ سيِّدُ مكةَ، فقابَلته باحْتِرام، وجلَسا يتحدَّثان فى أمورِ القافِلَةِ والتِّجارة، والرِّبح والخَسارة، وما يُؤَدِّيه العُمَّال المُجِدُّون من جُهْدٍ يُفِيد، وما يَجْلِبُه المُهمِلُون والكَسالَى على السِّلع من بَوارٍ[2]، فسأَلها أبو طَالب:

– وما رَأْيُك يا خديجةُ فى محمدِ بنِ عبدِاللهِ ابْنِ أخِى؟ أتَرَيْنَه يَصْلُح للقيام بشَىْءٍ من عَمَلِك فى قَافلةِ الشامِ، الَّتى تَتَأَهَّبُ[3] للرَّحيل؟

---

(١) الزيادة على القَرْض.
(٢) كســـاد.
(٣) تستعد.

وكان محمدٌ ﷺ قد ملأ الأسْمَاعَ بأَمَانَتِه، وصِدْقِه، وإخلاصِه فى عمَلِه، وبُعْدِه عن طُرقِ الشَّرِّ الَّتِى يَسِير فيها شبَابُ مكةَ، لم يَصْرِفْه حُسْنُه وقوَّته إلى ما يَنْصَرِفُ إليه أمثالُه، وغَدا مِثالَ العِفَّةِ والطَّهارَةِ، فقالَت خَدِيجةُ رضي الله عنها باسِمَةً:

– مِثْلُ محمدٍ يا أبا طالب تُلْقَى إليه الأماناتُ، ويُوثَقُ به كُل الثِّقَةِ، لكِنَّه لم يُجَرِّبِ الطَّرِيقَ من قَبْلُ.

فطَمْأَنها إلى مَعْرِفَتِه بالطَّرِيق؛ لأنَّه صاحَبَه فيها حينَ كان فى العاشِرَةِ من عُمْرِه، وقد أدْرَكَها ووَعاهَا[1]، أكثرَ مِمَّا يُدْرِك غيرُه مِمَّن يَكْبُرونَه، وأنَّه قوِىٌّ قادرٌ على مُقاوَمَةِ السَّفر وعَنائِه، وله خِبْرَةٌ بالتجارة وأُمورِهَا، حاسِبٌ ماهِرٌ، ومُدَبِّرٌ مفكِّرٌ، قد عَوَّدَه رَعْىُ الغَنَم الدِّقَّةَ والصَّبْرَ، وحسنَ تَصْرِيفِ الأُمورِ.

– رَضِيتُ يا أَبَا طالِبٍ، ولَوْ طَلَبْتَ هذا للبَعِيدِ عَنْكَ لأَجَبْنا، فما ظَنُّك بمحمَّدٍ قَرِيبِكَ وحَبِيبِكَ؟!

– كَرَّر أبو طالبٍ شكرَها، ثم استأْذَن فى الانْصِرافِ، لِيَزفَّ

(١) حفظها.

الخبرَ لابْنِ أَخِيه، وذَهَبَ مسرعًا إلى بيتِ محمدِ بن عبدالله، شديدَ السُّرور بما وُفِّقَ إلَيْهِ.

فلَمَّا كان يومُ الرَّحِيل، سَلَّمَته مالَها، وَزَوَّدَتْهُ بنصائِحها، وبعثَت معَه غُلامًا لَها يُسَمَّى «مَيْسَرَةَ»، وأمَرت هذا الغُلامَ أن يُطِيعَه ويُنَفِّذَ أمره، وودَّعته كما ودَّعَت غَيره من الرَّاحلِين، ثم وَقَفَت تنظرُ إلى القافِلَة وهى تَبْتَعِد حتَّى غابَتْ عن الأنظارِ، مُنْطَلِقَةً إلى الشَّمال، محمدٌ على بَعِيرِه. ومَيْسَرَة بِجانبِه على بَعِيرٍ آخَرَ.

كانتِ القافِلةُ تَشُقُّ طرِيقَها بينَ الجِبَالِ والرِّمال، ومحمدٌ فَرِحٌ بذلك الرَّحيلِ، يَقْضِى ليلَه ناظرًا إلى السَّماءِ، مُتَأَمِّلًا فى صُنع اللهِ وقُدرَته، ونِظَام هَذه الرُّقْعَةِ الفَسِيحَةِ العالِية، وما فيها من مَصابِيحَ تتلألأُ هُنا وهُناك، كأَنَّها عُيونٌ يَنْظرُ بعضُها إلى بعضٍ.

ويَقْضِى نهارَه مُتأمِّلًا فى تلك الصَّحراءِ المُمتدَّةِ الجَوانبِ، برِمالِها الرَّقِيقَةِ، وجبالِها الرَّاسِيَةِ حولَ الطَّرِيقِ، كأَنَّها حُرَّاسٌ ضِخَامٌ يَحْفظونَ الأَرْضَ أنْ تَتحرَّك.

- كان للمرأة العربية فى الجاهلية حقوقها المالية الخاصة بها وحرية التصرف فى ثروتها، كما كانت تمارس ألوانًا من النشاط الاقتصادى مثل التجارة.
- المرأة العربية تحترم وتحافظ على الحياة الزوجية وعلى استقرار الأسرة.
- الرجل العربى العاقل يشارك امرأته الرأى ويشاورها فى أمور عمله وشئون أسرته.
- السيدة خديجة رضي الله عنها كانت ذات رأى فى شئون المال والتجارة، كما كانت مضرب المثل فى تربية أبنائها.

السؤال الأول: املأ كل فراغ مما يلى بالكلمات المناسبة:

(ا) توفى .... زوج السيدة خديجة الأول رضي الله عنها فى العام .... من زواجه بها.

(ب) الزوج الثانى للسيدة خديجة رضي الله عنها هو .... ورزقت منه بولدين هما ....، ....

(جـ) بوفاة أبى هالة زوج السيدة خديجة رضي الله عنها ووفاة .... قررت أن تنهض بأمر .... بنفسها.

(د) كبرت تجارة السيدة خديجة رضي الله عنها وكانت تنفق على .... والمحتاجين وهى .... النفس.

السؤال الثانى: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلى:

(ا) لم تنجب السيدة خديجة رضي الله عنها ذرية من زوجها الأول عتيق بن عابد. (   )

(ب) حرص والد السيدة خديجة رضي الله عنها على أن تتزوج النباش بن زرارة لصفاته الكريمة. (   )

(جـ) أنجبت السيدة خديجة رضي الله عنها من زوجها النباش ابن زرارة ولدين هما هالة وهند. (   )

(د) كان تجار العرب فى الجاهلية لا يتعاملون بالربا. (   )

السؤال الثالث:

«وسارت تجارة خديجة رضي الله عنها كما كانت تسير تجارة زوجيها وأصبح الكثيرون يعملون لديها ولا يجدون غضاضة فى خدمتها».

(ا) تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يأتى:

- معنى غضاضة: (راحة - منقصة - تعب)

(ب) كيف كانت السيدة خديجة رضي الله عنها تدير تجارتها؟

(جـ) ماذا تقول لمن يزعمون أن المرأة العربية كانت تمنع من العمل وممارسة التجارة؟

السؤال الرابع:

«ما رأيك يا خديجة فى محمد بن عبد الله؟ أترينه يصلح للقيام بشىء من عملك فى قافلة الشام التى تتأهب للرحيل».

(ا) من قائل العبارة السابقة؟ وما صلته بمحمد بن عبد الله ﷺ؟

(ب) هل وافقت السيدة خديجة رضي الله عنها على خروج محمد بن عبد الله ﷺ فى قافلة الشام؟ ولماذا؟

٣ دوافع الارتباط

حَانَتْ[1] عَوْدَةُ المسافِرين من الشَّام، ونَهَضَت مكةُ تَسْتَعِدُّ لاستِقْبالِهم، وأخذَت السيدة خديجةُ رضي الله عنها تفكِّر فى مالِها وتجارَتها، من بَيْنِ الأفكارِ المزْدَحِمَة فى صدرِها.

فلَما أنْ جاءَ البَشِيرُ يُعْلِنُ اقْتِرابَ القافِلَةِ، زادَ النَّاسُ اهْتمامًا، وكثُرَتِ الحرَكةُ فى البُيوتِ:

اسْتِعدادٌ فى بيوتِ التجار لاسْتِقْبالِ مَتاجِرهم، وحسابِ أرباحِهم أو خسائرِهم.

واستعدادٌ فى بيوتِ الحَمَّالِين، الَّذِين ينقلُون هذه المتاجِرَ بالأَجْرِ.

وترقُّبٌ فى بيوتِ العاجزِين والفُقراءِ، الَّذِين اعْتادوا أن يَنالَهم خيرٌ فى مِثْلِ هذه المُناسبَةِ، وأن يَتَفَضَّلَ عليهم ذَوُو القلُوب الرَّحِيمةِ حينَ تَعودُ تِجارتُهم رابِحَةً.

---

(١) اقتربت.

حتَّى إذَا كانَ صَباحُ الغَدِ، عَلاَ الضَّجِيجُ فى الشوارعِ، واشتدَّت الحركةُ فى البُيوتِ، وخَرجَ الكثِيرون إلى أبوابِ مكةَ لاسْتِقْبَالِ القافِلَةِ.

وخَدِيجةُ ﵂ تستعِدُّ كما يَسْتَعِدُّ النَّاسُ، وجواريها فرحاتٌ، يُحدِّثُ بعضُهن بَعضًا بما وَعَدَتْهُنَّ سَيِّدَتُهُنَّ من الهَدايا الغاليَةِ، إذا عادَت تجارتُها رابحةً، وعاد جميعُ مَنْ فيها سالِمين.

وسارَ محمدٌ ومَيْسَرَةُ إلى دارِ السيدة خديجةَ ﵂، فاسْتَقْبَلَتْهُما ببشاشَةٍ ولُطْفٍ، وحيَّاها، ثم انصرَف إلى بيتِه، وجَلَسَ يَسْتَقْبِلُ أعمامَه وأقارِبَه ومُحِبِّيه، الَّذِين أَقْبَلوا يُهنِّئونَه بالسَّلامَةِ.

أمَّا السيدة خَديجةُ ﵂ فذهبَت إلى مخازِنها، وفَحَصَت تجارَتَها، ثم وقَفَتْ تَنْظُرُ فِى دهشةٍ شَدِيدَةٍ:

– ما هذَا الرِّبحُ الوَفِيرُ الذى عادَ بِهِ محمدٌ؟! وما هَذِه السلعُ الكثيرةُ الَّتى رَجَعَ بِهَا؟!!

كيف اشْتَرَى هَذِه السلعَ كلَّها؟! وبِأَىِّ مالٍ اشْتراها؟!

أَدْهَشَتْها أَنْواعُ السِّلَعِ وقِيمَتُها، فَصَاحَتِ بِميسَرَةَ فى عَجَبٍ:

– ماذا فَعَلْتُم يا مَيْسَرَةُ؟! ما هذا الرِّبحُ كُلُّه؟! وكَيْفَ حَصَلْتُم علَيه؟!

فأسرعَ مَيْسَرَةُ باسِمًا:

– بَرَكَةُ محمد يا سيِّدتِى !

لمْ نَكَدْ نَصِلُ إلى مَدِينَةِ بُصْرَى [١] ، ونَدْخُلُ السُّوقَ معَ القافِلَةِ، حتَّى اجْتَمع علينا المُشْتَرون، قدْ راقَت [٢] سِلَعُنا فى أَعْيُنِهم، كأَن السُّوقَ ليس فِيها غيرُها أوْ مَثِيلُها!

وقَدْ أظهرَ محمدٌ يا سَيِّدَتِى مَهارَةً وحِذْقًا [٣] فى البيعِ، حتَّى فرَغْنَا مِنْ بِضاعتنا فِى وَقتٍ قَصِيرٍ، والتجَّارُ من حَوْلِنَا يَنظُرون إِلَينا فى عجبٍ، ولَم يَستطِعْ بَعْضُهم أن يَحْبِسَ ما بِه، وأخذَ يصيحُ فى دهشةٍ:

– ما هذَا يا ميسرةُ ؟!

---

(١) موضع بالشام.
(٢) حسُنت.
(٣) براعة.

سِلَعٌ غيرُ سِلَعِنَا، أَمْ طُرقٌ غيرُ طُرقِنا ؟ أَمْ اتِّفاقٌ من قَبْلِ أن نَصِلَ؟!

فقالَت خديجة رضي الله عنها في عجَبٍ أَشَدَّ :

ـ لكِنَّ أَثمانَ سِلَعِنا الَّتِي بِعْتُموها، لاَ تَفِي بأثمانِ ما اشْتَرَيْتُموه، ولَوْ بِعْتُم بِضِعْفِ الثَّمن، أو بثلاثَةِ أضعافٍ أَوْ أَربعةٍ !!

فأجابَ ميسرةُ قائِلًا في زَهْوٍ:

ـ بَرَكَةُ مُحمدٍ يا سيِّدتِي !

كانَ اللهُ معه في الشِّراءِ، كما كانَ معَه في البَيْعِ، فلم يَدْخُلِ السُّوقَ شارِيًا، حتى دَعاه البائِعونَ وبَذَلُوا لَه سِلَعَهم، وكأَنَّهم أَحَبُّوا أَنْ يُقَدِّمُوها إِلَيه بِغَيْرِ ثمنٍ!

فلَم يعرِضْ قيمةً إلاَّ قَبلوها، والناسُ في حيرَةٍ، يَتَساءَلُون عنْ هَذا التَّاجِرِ الَّذِي سَبَقَ التُّجَّارَ، وصاحِبِ الوَجْهِ الذي جَذَبَ القلوبَ.

وتُجَّارُنا في حيرَةٍ من أمرِ محمدٍ، الَّذِي باعَ غالِيًا واشْتَرَى رَخِيصًا، حتى قالَ بَعْضهُم في عجَبٍ شديدٍ :

- ماذا جَرَى يا مَيْسَرَةُ ؟!

قُلْنَا إِنَّكُمْ اتَّفَقْتُم مع المُشْتَرِين قَبْلَ وصُولِنا، فَهَلِ اتَّفَقْتُم كذَلِكَ مَع البائِعِينَ ؟!!

فازدادَ سُرور السيدة خَدِيجةَ ﵂، وقالَت لِميسرةَ فى رِفْقٍ: حدِّثْنِى يا ميسرَةُ عن كل ما حدث فى الذهابِ والإِيابِ، لا تَتْرُكْ شَيئًا إلاَّ أَخْبَرْتَنِى به، فقَدْ رَأَيْتُكَ شديدَ الإعجابِ بمحمدٍ!

قَالَ مَيْسَرَةُ بوجهٍ مَبْسوطٍ:

- شأْنُ محمدٍ عجيبٌ يا سيدَتِى!

حدَّثْتُكِ عن البَيْعِ والشِّراءِ، وما نالَ فيهما محمدٌ من تَوْفِيقٍ، وقَدْ يَقولُ النَّاسُ: إنَّ ذَلِكَ حَظٌّ يَتَدَفَّقُ أحيانًا علَى بَعْضِ النَّاسِ، وقدْ يَقولون إنَّها مَهارَة محمد، فما رَأْيُك يا سَيِّدَتِى فى عَجِيبةِ السَّماءِ ؟!

كانَ الجَوُّ حارًّا مُحْرِقًا، وكانَت أَشِعَّةُ الشَّمسِ شديدةً كأنها نارٌ محرقةٌ، فما تركنا مَكَّةَ حتى احْتَمينَا مِنها بالعمَائِم ضاعَفْناها، وبِما اسْتطعْنا من مِظَلاَّتٍ تَقِى رءُوسَنا وَحْدَها.

أَمَّا محمدٌ فقد أَظَلَّتْه السماءُ، ونشَرَتْ علَيه وعَلَى بعيرِه سحابَةً ظَلِيلَةً، سارَت حَيثُ تَسِيرُ القافِلَةُ، ولم تفارِقْنا حتَّى بلَغنا الشَّامَ، تَنْعَقِدُ علَيه مِن الصَّباحِ إلى المَساء، ثم تَنْعَقِد عليه مرةً أخرَى، إذَا أَشْرَقَتِ الشمسُ من جدِيدٍ.

وصمَتَ ميسرةُ قليلًا، ونظرَ إلى سيِّدَتِه الغارِقَةِ فى دَهْشَتِها، ثم اسْتَأْنَف قائِلًا فى عجبٍ:

– كانَ الناسُ يا سَيِّدتى فى دَهْشَةٍ شدِيدةٍ، من أمرِ هذِه السَّحابَةِ الَّتِى اخْتَصَّتْ محمدًا بِظِلِّها، إذا تحرَّك محمدٌ تحرَّكت معَه!

ثُم انْتَبَهت السيدة خديجةُ رضي الله عنها من تفكيرِها، وقالَت لِميسرَةَ باسمةً: وماذَا صَنَعَ محمدٌ ببلادِ الشامِ يا ميْسرةُ؟

سَرَّتْه أشجارُها، ومياهُها، وبَساتِينُها، وجَوُّها الرَّقيقُ، وأَهْلُها، ومَنْ فِيها؟!

فأسرعَ مَيْسَرَةُ مُؤَكِّدًا:

– لم يُشارِكْ محمدٌ فيما صنَعه التجارُ هُناك يا سَيِّدَتِى، ولم يَسْتَهْوِه[1] شَىْءٌ ممَّا اسْتَهْوَى النَّاسَ، بل كانَ كُلَّ وَقْتِه يَنْظُرُ فى

(١) لم يستمِلْه.

المَلَكُوتِ، ويعجَبُ من خَلْقِ الله وما صنَع للإنسَانِ، وما أَلْقَى فِى الأَرْضِ من نباتٍ يانِعٍ[1] وشَجَرٍ باسِقٍ[2]، وما أَجْرَى فيها من مِياهٍ وأَنْهارٍ، وكيفَ خَلق بِلادَنا صحْراءَ جَرْداءَ لاَ نَباتَ فيها ولا ماءَ، وخلَق فى الشام جنَّاتٍ أَلْفَافًا[3]، وحَبًّا وعِنَبًا وقَضْبًا[4]، وزَيْتونًا، وحَدائِقَ غُلْبًا[5]!..

كانَ يا سَيِّدَتِى دائِمَ التَّفْكِيرِ، تَرَكَ النَّاسَ يَذْهَبـونَ حَيْثُ يَشاءُون، وأَقَامَ حيثُ نَزَلْنا، يَتَأَمَّلُ ويُفكِّر، حتَّى انْقَضَى الوَقْتُ وتأَهَّبْنا للرَّحِيلِ.

اسْتَقَرَّ كَلاَمُ مَيْسَرَةَ عن مُحَمَّد فى قَلْبِ السيدةِ خَدِيجَة رضي الله عنها، ولم تستطع أن تطرد صورته من عقلها بعدما رأته وسمعت عن صِفَاتِه وأَخْلاَقِهِ النَّبيلة، وما حدَّثَها به خَادِمُها مَيْسَرة، وتَمنَّتْ أن يكونَ محمدٌ زوجًا لها، ولمَّا لم تستطع أن تُبْعِدَ هذا التفكير عن ذهنها قَرَّرَتْ أَنْ تكون المُبادرةُ من طرفها، فَأَرْسَلَتْ خَادِمةً

---

(١) ناضج الثمر.
(٢) طويل.
(٣) متشابكة الأغصان.
(٤) القضْب: كل شجرة طالت وبسطت أغصانها، والشجر الرطب يقطع مرة بعد مرة.
(٥) متشابكة الأشجار.

لها تُسَمَّى نَفيسةَ، تستطلع رأيَ محمدٍ وتَعرض عليه فكرة الزواج من السيدةِ خديجةَ رضي الله عنها.

ولما أقبلَ المسَاءُ التَفَّتْ نفِيسَةُ بِرِداءِ اللَّيلِ، وسارَت من بيتِ خديجةَ رضي الله عنها إلى بيتِ محمدٍ، واستأْذَنت عليه ثم دخلَت، فوجدَتْه مُطْرِقًا يُفكِّرُ، وبَدَا لَها كأَنها لم تَعْرِفْه من قبلُ.

رَأَتْ رجُلًا وَسِيمًا[1]، رَبْعَةً[2]، لَيْسَ بالقَصِيرِ ولا بالطَّوِيلِ، ضَخْمَ الرَّأْس، مُرَجَّلَ الشَّعْرِ[3]، شديدَ سوادِه، مَبْسوطَ الحاجبَيْن، واسِعَ العَيْنَين، يشعُّ من وجهِه نورٌ مُتَلأْلِئٌ. فحَيَّتْه، وأسرَّتْ إليه كلامًا، وقَعَ منه موقِعَ القبولِ والرضا.

ثمَّ انْصَرفَت مُسْرِعَةً، وذَهَبت إلى خَدِيجَة رضي الله عنها ودخلَت عليها فائِضَةَ السُّرور، وزَفَّتْ إليها البُشَرى بقبولِ محمدٍ، فَقَبَّلَتها خدِيجةُ رضي الله عنها وضَمَّتْها مَرَّاتٍ، ثم نَهَضَت إلَى أَحَدِ مخازِنها، واخْتَارَت بَعضَ الهَدايا الثَّمِينةِ، وقدَّمَتها إليها فى سرور.

(١) حسن الوجه.
(٢) معتدل الجسم.
(٣) مبسوط الشعر.

- أظهر النبى ﷺ قبل بعثته مهارة وبراعة فى التجارة والبيع والشراء.
- كان صدق محمد ﷺ وأمانته من أسباب نجاحه فى التجارة ومن عوامل حب الناس له.
- السحابة التى كانت تظلل محمدًا ﷺ فى رحلته إلى الشام علامة من علامات نبوته.
- الأخلاق النبيلة والسيرة المحمودة من أهم أسباب تعلق السيدة خديجة رضي الله عنها بشخصية محمد ﷺ وتمنيها الزواج منه.

السؤال الأول: املأ كل فراغ مما يلى بالكلمات المناسبة:

(ا) حين اقتربت قافلة الشام استعد .... لاستقبال متاجرهم واستعد الفقراء لينالوا ....

(ب) نظرت السيدة خديجة رضي الله عنها إلى تجارتها فى .... بسبب .... الوفير الذى عاد به محمد ﷺ.

(جـ) أرجع ميسرة الربح الوفير الذى عادت به القافلة إلى .... محمد ﷺ .

(د) العجيبـة التـى حدَّث بها ميســرة ســيدته خديجة رضي الله عنها هى ....

السـؤال الثانـى: ضـع علامة (✓) أمـام العبـارة الصحيحة وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلى:

(ا) أظهر محمد ﷺ براعة ومهارة فى البيع والشراء فى قافلة الشام. (   )

(ب) كانت السلع التى بيعت من تجارة خديجة رضي الله عنها تكفى ثمن ما تم شراؤه. ( )

(جـ) من علامات نبوة محمد ﷺ السحابة التى كانت تظلله وهو فى رحلة الشام. ( )

(د) نفيسة خادمة السيدة خديجة رضي الله عنها عرضت على محمد ﷺ فكرة الزواج من السيدة خديجة رضي الله عنها. ( )

السؤال الثالث:

«حَدِّثْنِــى يا مَيْسَرَةُ عن كل ما حدث فى الذَّهاب والإيَاب، لا تَتْرُكْ شَيْئًا إلا أَخْبَرتَنِى به، فَقَدْ رَأَيْتُكَ شَدِيدَ الإعْجَابِ بمحمَد!».

(ا) تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يلى:

- المتحدث فى العبارة:
(السيدة خديجة رضي الله عنها – أبو طالب – ورقة بن نوفل)
- الإياب معناها: (النوم – الراحة – العودة)
- كان مَيْسَرَةُ: (صديقًا لمحمد – تاجرًا من التجار – غلامًا للسيدة خديجة رضي الله عنها)

(ب) اذكر أهم الأحداث التى حدثت فى هذه الرحلة.

٤ الربـــاط المتـــين

استَعَدَّت دارُ خديجةَ رضي الله عنها لاسْتِقْبالِ اليومِ السَّعِيدِ، كما استعَدَّ بَنو أَسَدٍ قَوْمُها، لِيَظْهَرُوا بالمَظْهَرِ اللاَّئِقِ بِهِم، أمامَ بَنِى هاشِمٍ قومِ محمدٍ، ودَعا كلٌّ منهما الأَصْحابَ والأَحْبَابَ.

وفى مَساءِ هذَا اليومِ، كان بَنو أسدٍ وبَنو هاشمٍ فى دارِ خديجةَ رضي الله عنها ، يَجْلِسون فِى فِناءٍ واسِعٍ، مُدَّت به ألوانُ البُسُطِ الجميلةِ الغالِيَةِ، علَيها الوَسائِدُ البَدِيعةُ النَّقْشِ الجَمِيلةُ الشَّكْلِ، قد ارْتَدَوا العَبَاءاتِ المُزَرْكَشَةَ، وَلَفُّوا على رءُوسِهم العمائِمَ الكبيرَةَ، وبَدا شُيوخُهم فى وَقارِ[1] المُلوكِ ذَوِى التِّيجانِ، يَتَكَلَّمُونَ بقَدرٍ وحِكْمَةٍ، ويتحدَّثُون فى رَزانَةٍ[2] وتَرْتِيبٍ، أَمامَهم مَجامِرُ[3] الذَّهَبِ والفِضَّةِ، يَنْبَعِثُ منها دُخانُ العُودِ والعَنْبَرِ والمِسْكِ[4] .

---

(١)، (٢) ثبات.

(٣) مباخـــر.

(٤) أنواع من الطيب يبخر بها.

فلَمَّا اكْتَمَلَ عِقْدُ المجلِسِ، اسْتَوَى أبو طالبٍ فى جِلْسَتِه، ونظرَ إلى القَوْمِ فى وَقارٍ، ثم قال فى سُرور:

«الحمدُ للهِ الَّذى جَعَلنا مِنْ ذُرِّيَّةِ إبْراهِيمَ، وزَرْعِ إسْماعِيلَ، حَفَظَةِ بَيْتِهِ الحرامِ، وسَدَنَةِ[1] حَرَمِه الآمِنِ، وآتانا الحُكْمَ بالحَقِّ والأَمانَةِ والصِّدْقِ وهَدانا إلَى الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ..

يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! هذَا ابْنُ أَخِى محمدُ بنُ عبدِ اللهِ، له رَغْبَةٌ فِى خديجةَ بنتِ خوَيلدٍ، ولها فيه مِثْلُ ذلك، وهُو وَإنْ كانَ قُلاًّ فى المالِ، فإنَّ المالَ أَمْرٌ حائِلٌ[2]، ووَدِيعَةٌ مُسْتَرَدَّةٌ، وما يُوزَنُ محمدٌ برَجُلٍ إلاَّ رَجَحَ به شَرَفًا وعَقْلًا..».

والجميعُ مُنْصِتُون إلى كلامِه، يَهُزُّون رءُوسَهم مُوافِقِين علَيه، يَنظُرون إلى محمدٍ باسِمِينَ، وعُيونُهم تَنْطِقُ بالتَّهْنِئَةِ الخالِصَةِ، حتَّى أَتَمَّ أبو طالبٍ خُطْبَتَه، فاعْتَدَلَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ ابن عم السيدة خديجة رضي الله عنها وكان حكيمًا عاقلًا قد ترك عبادة الأصنام ـ ورَدَّ علَى هذِه الخُطْبَةِ بِلسانِ بَنِى أَسَدٍ، مادِحًا، مُثْنِيًا

(١) خـدم.
(٢) شيء زائل.

علَى محمدٍ وصِفاتِه، ثم اعْتَدَلَ عَمْرُو بْنُ أَسَدٍ عمُّ خديجةَ ﵂، وأَعْلَنَ فى سُرورٍ، أنَّه زَوَّجَ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ خديجةَ بنتَ خوَيلدٍ ابْنَةَ أَخِيه ﵂.

ولمَّا انتَهى العَقْدُ والسَّمَرُ، انصرَفَ رجالُ مكةَ ونساؤُها إلى بُيوتِهم، يتحدَّثون عن محمدٍ وخديجةَ ﵂ بِأَطْيَبِ ما يُعَبِّرُ بِهِ لِسانٌ، ويفيض به قلب، وعنِ الحَفْلِ السَّاهِرِ، والكَرَمِ الواسِعِ، والسُّرورِ الغامرِ، الَّذِى كان يَلُفُّ الحَفْلَ كلَّه ويشرَحُ الصُّدورَ جَمِيعًا.

ثم انْتَقَلَ محمدٌ ﷺ إلى دارِ خديجةَ ﵂، واستأْنَفَتِ الدَّارُ حياتَها كما كانَت، وبدأَ محمدٌ ﷺ يستَعِدُّ لِيُعِينَ خديجةَ ﵂ فى تِجَارتها، ويُدَبِّرَ معَها أمرَ مالِها.

لكنَّها أَحَسَّت، بأَنَّهُ خُلِقَ لرِسَالَةٍ أكبرَ منَ المالِ ومن التجارَةِ، وآنَسَتْ[1] من صَفاءِ رُوْحِه، أَنَّه يُعَدُّ لِدَوْرٍ كبيرٍ، يُؤَدِّيه لِلْبَشَرِ لاَ لِخَدِيجةَ ﵂ ومالِها، ولا لقُرَيشٍ وحدَها.

وقدْ أفْسَح رجالُ مكةَ لمحمدٍ ﷺ مكانًا بَيْنَهم، وأَصْبَحوا

---

(١) وجدت وعرفت.

يَسْتَشِيرونَه فى أَشَدِّ أمورِهم تَعْقِيدًا، ثِقَةً بذَكائِه، وحِكمتِه وبُعْدِ نَظرِه، ويَجْعَلونَه مَوْطِنَ أَسْرارِهم ومُسْتَوْدَعَ أماناتِهم.

إذا جلَسوا لـلأَمْرِ العظيمِ دَعَـوْه، وإذا قامُوا إلـى مَكْرُمَةٍ لم يَفُتْهم رَأْيُـه، وكلَّما انْفَسَح له مكانٌ فى وسَطِ الرُّؤَساءِ، أَحسَّت خديجةُ ﵂ بالعِزَّة، وتَمَنَّت أن يُفْسَحَ له مكانٌ أَرْفَعُ منه، حتى يكونَ سيِّدَ مكةَ كلِّها.

وقد حَرَصَتْ كُلَّ الحِرْصِ، على أنْ تُوَفِّرَ له الهُدوءَ والسَّكِينَةَ، ولا تَشْغَلَه بِصغَائرِ الأُمورِ، ولا تُسْمِعَه ما يَشْغَلُه عن العَظائِم، تتَمنَّى أن تُوَثِّقَ[1] الأيامُ ما بَيْنَهما بِوَلَدٍ، يَشُدُّ أَواصِرَ[2] هذِه الأُلْفَةِ، ويقوِّى روابِطَ هذِه المحبةِ، والأَيَّام تسيرُ على خَيْرِ ما يُرِيدُ زَوْجانِ مُحِبَّانِ من الأَيَّامِ واللَّيَالِى.

فلَما انْقَضَى العامُ على زَواجِهما، حقَّقَ اللهُ ما تَمَنَّتْه، وكانَ «القاسِمُ» فى مَهْدِه يَمْلأُ الدَّارَ بِصياحِه، ويُحَرِّكُ رجلَيه فى فِراشِه، ويُدِيرُ عينَيه يمينًا ويَسارًا، فيَمْلأُ قلبَ محمدٍ ﷺ فرَحًا

(١) تـقـوِّى.
(٢) روابـط.

ويَمْلأُ قلْب خديجةَ ﵂ غِبْطَةً[1] بِهذا الرِّباطِ المَتِينِ، الَّذى ربَط بينَها وبينَ محمدٍ ﷺ، وسَرَّ قلبَه واكتملت به سعادَتُه وسعادَتُها.

وكلَّما مرَّ يومٌ زادَ محمدٌ ﷺ فى مكةَ عَظَمَةً، وزادَ الْتِفافُ النَّاس بِهِ، وتَقْدِيرُهم له، ولم يَكَدْ يَخْلو يومٌ من مُشْكِلَةٍ يَحُلُّها، أو رَأْيٍ سَدِيدٍ[2] يُسْدِيه[3].

يَجْلِسُ فى دارِ النَّدْوَةِ[4]، معَ الجالِسين من كُبَراء قريشٍ وسادَتِها، لكنَّه يُكْثِر الصَّمْتَ، ويَلْتَزِمُ الوَقَارَ، ويَمِيلُ إلى المَظْلومِ علَى الظَّالِم، ويَنْصُرُ الحَقَّ ويَخْذُلُ الباطِلَ، لا يُجَامِلُ أحدًا، ولا يُحابِى قرِيبًا ولا صاحِبًا، ولا تعْرِضُ مَكْرُمَةٌ، إلاَّ سَعى فى تَحْقِيقِها وشَجَّع الناسَ عليها.

ولم يَنْقَضِ عامٌ على مَوْلِدِ القاسِمِ، حتَّى كانت «زَيْنَبُ» فى مَهْدِها تَبْتَسِم لأَبَويْها، وتُناغِيهما، وتنظرُ إليهما بعينيها الصَّغِيرَتَين البَرِيئَتين.

---

(١) فرحًا.
(٢) صائب.
(٣) يقدمه.
(٤) نادى القوم.

لكنَّ القاسِمَ لَزِمَ الفِراشَ ذاتَ يوم، يَشْكو مَرَضًا أَلَمَّ به[١]، فأَسْرَعَت السيدة خديجةُ رضي الله عنها تُمَرِّضُه، ومحمدٌ ﷺ بجانِبِها، يُعِينُها، وينظرُ حزينًا إلى هـذا الصَّغِير الَّذِى يشتَدُّ عليه الداءُ، ولا يُجدِى[٢] مَعَه الدَّواءُ.

لكِنَّ قضاءَ اللهِ فوقَ كلِّ يَدٍ، وقُدْرَتَه فوقَ كلِّ قُدرةٍ، فلَم يُجْدِ فى علاجِ القاسمِ دَواءٌ، وتَلاَحقَت أنفاسُه، وفتَحَ عينَيه ثمَّ أغْلَقَهُما، وأَسْلَم الروحَ إلَى بارِئِها.. فانشطرَ قلْبَا والديْهِ حُزنًا.

وَجَدَت السيدة خديجة رضي الله عنها محمدًا ﷺ مُهْتَمًّا بالتَّفْكِيرِ والتَّدَبُّر فى صُنعِ اللهِ، قدْ شغَل قلبَه بِالمَـلإِ الأَعْلَـى[٣] وما فِيه، وشَغَل وَقْتَه بالنَّاسِ ومُشْـكلاتِهم، يُوَاسِـى الضُّعفَـاءَ[٤] والمسـاكِينَ، والمُصابِيـنَ، ويَفْتَـحُ قلبَه للسَّـائِلِ والمَحْـروم، ويُدافِـعُ عَنِ المُسْـتَضْعَفِينَ الَّذِين يَسْتَعْبِدُهم النَّـاسُ، ويَسْـعَى فى الخيـرِ والمحَبَّةِ والسَّلامِ.

---

(١) نزل به.
(٢) ينفـع.
(٣) السماء.
(٤) يخفف عنهم ما بهم من الألم.

ثم رأَتْه يَمِيلُ إلى العُزْلَةِ والانْقِطاعِ عنِ النَّاسِ، فَهَيَّأَتْ له الهُدوءَ والسَّكِينةَ، وجعَلت له فى الدَّارِ وَحْدَه غُرْفَةً خاصَّةً به بَعيدَةً هادِئَةً، وتكفلتْ بما كان يفعلُ، فَقَضَتِ الحاجاتِ، وواسَتِ المُصابِينَ.

اقْتَرَبَ محمدٌ ﷺ من الأَرْبَعينَ، وكانَ يُحِسُّ أن صَفاءَ نَفْسِه يزدادُ، وكانت خديجة رضي الله عنها تُحِسُّ ذَلِكَ الصَّفاءَ والإشْرَاقَ الَّذِى يَبْدُو فى قَسمَاتِهِ، وتُسَرُّ كلَّما رأَتْه يُجَاهِدُ نَفْسَه ويُحاسِبُها.

وقَدِ اخْتارَ جبَلًا من جبالِ مكةَ صَعْبَ المُرْتَقَى، يُسَمَّى جبلَ «حِراء» على بُعْدِ حوالى عشرة كيلومترات، لِيَنْقَطِعَ فيه شهرًا كامِلًا كلَّ عامٍ نائِيًا[1] عَنْ مكة، بَعِيدًا عن الغادِينَ والرائِحِين، الذين يَطْرُقونَ بابَه صباحَ مساء.

فَإِذَا أَقْبَلَ شهرُ رَمضانَ، كانَ قد أعَدَّ زادَه القليلَ، من الشَّعيرِ والمِلْحِ والزَّيْتِ أو التَّمْرِ، وما يَكْفِيه من الماءِ، ثُمَّ سارَ به إلى ذَلِكَ الجَبَلِ، وصَعِدَ فى طريقٍ وَعْرٍ[2] إلى قِمَّته، حتى يبلغَ غارًا فى تلك القمةِ العالِيةِ فَيأْوِى إليه، مُنْقَطِعًا عن الناسِ، يَحْيا فيه

(١) بعيـــدًا.
(٢) صعـــب.

زاهـدًا[١] ، ناظرًا إلى اللهِ، بَعِيدًا عن الدُّنْيا وضَوْضائِها، وعن الناس وكَذِبِـهم، وغِشِّهم، وخِداعِـهم، ولَغْوِهـم، وعن كلِّ ما يَصْرِفُ عَن اللهِ، والتفكيرِ فى بَدِيعِ صُنعهِ.

فإذا انْقَضَى رمضانُ، عادَ إلى خديجةَ ﵂ ، وقد نالَ منه الجَهْدُ[٢] وأخَذَ منه التَّعبُ، فَيَجِدُ فى قلبِها الحنونِ دِفْئًا يُذْهِبُ ما بِه مِنَ الألَمِ، ويُعِيدُه إلى قوَّتِه، ويُهَوِّن عليه ما وَجَدَ من العَناءِ.

تَمْسَحُ بكلماتِها الرَّقِيقةِ هَمَّه، وتُزِيلُ بِبَسْمَتِهَا الصَّافِيةِ الرَّاضِيَةِ مَتاعِبَه، وتُشَجِّعُه على ما هوَ مُنْدَفِعٌ إليه، وتُهَوِّن كلَّ صَعْبٍ فى عَيْنَيه.

حتَّى إذا انْقَضَى العامُ، واقتربَ شهرُ رمضانَ، قامت تُعِدُّ لَه ما يَلْزَمُ لذَلِكَ السَّفَرِ، وأَبْدَت له من السُّرور والاهتِمَام ما يُشَجِّعُه ويُقَوِّيه، فَيَسيرُ إلى حِراءَ كما سارَ من قبلُ، مُتَّجِهًا إلى اللهِ، وقد تَزَوَّدَ معَ زادِه من الطَّعامِ والشَّرابِ، كثيرًا من كلِمَاتِها اللَّطِيفةِ وحنانِها وبِرِّها.

---

(١) مبتعدًا عن الدنيا وزخرفها.

(٢) التعـــب.

- الاستعداد لاستقبال اليوم السعيد.
- الجميع سعداء بإتمام زواج محمد ﷺ من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .
- أهل مكة يستشيرون محمدًا ﷺ فى أشد أمورهم تعقيدًا.
- من سمات محمد ﷺ: كثرة الصمت، والوقار، ونصرة المظلوم، وعدم المحاباة، والسعى فى تحقيق المكارم.
- الزوجة الصالحة تقف إلى جوار زوجها وتساعده وتهون عليه ما يواجه من مصاعب.
- كان النبى ﷺ قبل بعثته كثير التفكر والتأمل فى صنع الله - سبحانه وتعالى - وكان يعتكف شهرًا كل عام لهذا التأمل فى غار حراء بعيدًا عن الناس وطلبا للسكينة.

المناقشــــة

السؤال الأول: املأ كل فراغ مما يلى بالكلمات المناسبة:

(ا) خطب .... خطبة الزواج ممثلا لمحمد ﷺ .

(ب) ألقى خطبة أسرة السيدة خديجة رضي الله عنها ....

(ج) أعلن .... عم السيدة خديجة رضي الله عنها أنه زوج

محمد بن عبد الله - ﷺ - خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

(د) شعرت السيدة خديجة رضي الله عنها بعد الزواج بأن محمدًا ﷺ

خلق .... أكبر من المال والتجارة.

السؤال الثانى: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلى:

(ا) أحست خديجة رضي الله عنها بأن محمدًا ﷺ خلق لرسالة

أكبر من المال والتجارة. ( )

(ب) حقق الله للسيدة خديجة رضي الله عنها ما تمنته من زواجها

بعد عامين. ( )

(جـ) ساعدت السيدة خديجة رضي الله عنها محمدًا ﷺ على العزلة والانقطاع عن الناس فهيأت له الهدوء. ( )

السؤال الثالث: تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يلى:

(ا) العمل لازم للغنى (ليعوض ما ينفق من ماله – ليستمر عطاؤه الفقراء – هما معا)

(ب) كان رجال مكة يستشيرون محمدًا ﷺ فى كل أمورهم (لثرائه – لحكمته – لقوة بدنه)

السؤال الرابع:

«وقـد حَرَصَـتْ كُلَّ الحِـرْصِ، على أنْ تُوَفِّـرَ له الهُدوءَ والسَّكِينَـةَ، ولا تَشْغَلَـه بصغَائرِ الأُمـورِ، ولا تُسْمِعَه ما يَشْغَلُه عن العَظائمِ، تتَمنَّى أن تُوَثِّقَ الأيامُ ما بَيْنَهما بوَلَدٍ، يَشُدُّ أَواصِرَ هذِه الأُلْفَة».

(ا) **هات ما يلى:** معنى كل من: «توثق، أواصر».

(ب) ماذا تمنت السيدة خديجة رضي الله عنها؟

(جـ) ما الذى كان يملأ قلب خديجة رضي الله عنها غبطة؟

السؤال الخامس:

«وقَدِ اخْتارَ جبَـلًا من جبالِ مكةَ صَعْبَ المُرْتَقَى، يُسَمَّى جبلَ «حِراء» على بُعْدِ حوالى عشرة كيلومترات، لِيَنْقَطعَ فيه شهرًا كامِلًا كلَّ عامٍ نائِيًا عَنْ مكة».

(أ) تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يلى:

■ معنى «نائِيًا»: (سريعًا - بعيدًا - معروفًا)

(ب) لماذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يذهب إلى غار حراء؟

(جـ) ماذا كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أقبل شهر رمضان؟

٥ بدء الرسالة وأولى المؤمنات

أصبَحت خديجةُ رضي الله عنها فى شُغْلٍ بِمُحمدٍ صلى الله عليه وسلم وبناتها، وفى الوقتِ نفسه تُدَبِّرُ تجارَتَها ومالَها.

أصبحَ قلبُها مُعَلَّقًا بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم حيثُ كان، فى البيتِ، أو فى الغارِ، أو بينَ سادَةِ مكةَ. فإذا كان فى الغارِ، أَحَسَّت بدافعٍ قوىٍّ يدفَعُها إليه خَوْفًا عليه، فسارَت فى ذلك الطريقِ الوَعْرِ، وصَعِدت إلى أعلَى الجبلِ مُتَجَشِّمَةً[١] شديدَ الصِّعابِ، واطمأَنَّت عليه، ثم عادَت من حيثُ أتَت، فيُحِسُّ محمدٌ صلى الله عليه وسلم من هذا القلبِ الرَّحِيمِ، عطفًا وحنَانًا يَمْلَؤه قوةً، ويُعِينه على ما هُو فيه.

حتَّى كانَت لَيْلَةٌ من ليالِى شهرِ رَمَضَانَ، وهوَ فى الغَارِ، والظَّلامُ يَلُفُّ الجِبَالَ والوِهَادَ[٢]، بِرِداءٍ حالِكِ السَّوادِ[٣]،

(١) متجشمة: متحملة.
(٢) الأماكن المنخفضة.
(٣) شديد السواد.

والنُّجومُ تُطِلُّ من وسَطِه، كأنَّها عيونٌ مُفَتَّحَةٌ، تنظرُ من عَلْيائِها إلى الأرضِ، وتَتَأَمَّلُـها، وقد بَـدَت رُءُوسُ الجبـالِ فـى ضَـوءِ النجوم الخافتِ، أشْباحًا واقِفَةً ينظرُ بعضُها إلى بَعْضٍ، واللَّيْلُ ساكِنٌ هادِئٌ، لا تَقْطَعُـه إلاَّ أصـواتُ الوُحـوشِ المتَنَقِّلـةِ بينَ الجبالِ، هُنا وهُناك.

وقد اختْفَت مكةُ فى بحرِ الظَّلامِ، فلا يُرَى منها سِوَى أنْوارٍ ضَئِيلةٍ خافِتَةٍ، تَنْبَعِثُ من بعضِ القنَادِيلِ والشُّموعِ، كأنَّها نجومٌ وَقَعَت على الأَرْضِ.

ومحمدٌ ﷺ فى الغارِ، علَى قِمَّةِ جَبَلِ حِراءَ العاليةِ، ينظُرُ إلى السماءِ والنجومِ، قدْ أَحَسَّ بالصَّفاءِ، وانْفَتَح قَلبُه لِلْمَلأ الأَعْلَى، وخديجةُ رضي الله عنها فى دارِهـا ساهِرَةً، لم يُغْمَضْ لها جَفْنٌ، ولم يَسْتَقِرَّ لها جَنْبٌ.

وفجأة وجدَتْ محمدًا ﷺ يدخلُ عليها خائِفًا، مُرْتَجِفًا قائلًا:

– زَمِّلُونِى [1] ! زَمِّلُونِى !

(١) غطـونى.

فأسَرعت إلَيه وعاوَنَتْه علَى السَّيْرِ إلَى فِراشِه، وقَلْبُها يَخْفِقُ، وجِسْمُها يَرْتَعِدُ، حتى بلَغَه ورَقَدَ فيه، فَغَطَّتْه كما أمَرَ، ثم وقَفت بِجانِبِه صامِتَةً، تَنْظُرُ إليه، وتُرْهِفُ سَمْعها إلَى أَنْفاسِه، فتَطْمَئِنُّ عليه، حينَ تَسْمَعُها تَتَرَدَّدُ فى صدرِه.

ولم تُغادِرْ سريرَه، وظلَّت واقِفَةً بِجانِبِه حتَّى ذَهَبَ عنه الرَّوْعُ [١]، وفتَح عَينَيْه، فكَشَفَتْ عنه الغِطاءَ، وعاوَنَتْه علَى النُّهوضِ، وبَدَّلَتْ مَلابِسَه الَّتى بَلَّلَها العَرَقُ الغَزِيرُ، وجلَست بجانِبه، ونظرَت إليه نظرةً مَمْلوءةً بالحَنانِ، ثم قالَت باسِمةً:

– ماذا حدثَ يا أبا القاسِمِ؟! شَغَلْت قلوبَنا علَيك.

حكَى محمدٌ ﷺ لهَا مَا رآَهُ فى الغارِ وكيفَ تنَزَّلَ عليهِ الرُّوحُ الأمينُ [٢]، وكيفَ طلبَ منه أنْ يقرأَ هذِه الآياتِ كَما قرأَها الرُّوحُ الأمينُ:

– ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ [٣] ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [٤] ۝٥ ﴾ [*].

---

(١) الفــزع.

(٢) الروح الأمين: هو جبريل عليه السلام.

(٣) دم متجمد.

(٤) ما لم يكن له به علم.

(*) سورة العلق، الآيات من (١ إلى ٥).

فلما سمعت خديجة رضي الله عنها الآيات من الرسول ﷺ قالَت مُبتهجةً لِحلاوَةِ كَلامِ اللهِ:

أَبْشرْ فواللهِ لا يُخْزِيكَ الله أبدا، إنك لتصل الرَّحِمَ وتصْدُقُ الحَدِيث، وتحملُ الْكَلَّ[1]، وتعين على نوائب الدهر.

وبعد ذلك نزل قول الله - تعالى - على نبيِّه محمدٍ ﷺ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ ﴾[2].

وفى مرَّة أخرَى بينما كان محمدٌ -ﷺ- يمشى إذ سَمع صَوْتًا من السَّمَاء فرفع بَصَرَه فإذا الملَكُ الذى جاء بغارِ حراء، ففزِع.. وعاد إلى زوجَتِه قائلًا:

«دثرونى.. دثرونى».

---

(١) العاجز الضعيف.

(٢) سورة المزمل، الآيات من (١ إلى ٨).

فنزل قول الله – تعالى –:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾[1].

ثـم انْطَلَقَت بـه خَديجةُ رضي الله عنها حتى أتيا وَرَقَة بـنَ نَوْفلٍ، وهو ابـن عـم السيدة خديجـة رضي الله عنها، وكان قد تـرك عِبَـادَة الأصْنَام وتنصَّر[2] وكان يكتبُ من الإنجيل بالعِبْرانية[3] وقالت له:

– يا ابنَ العم.. اسمع من ابن أخيك.

فقَالَ وَرَقَة: يا ابنَ أَخِى مَاذَا تَرَى؟

فَأَخْبَره – صلى الله عليه وسلم – بِمَا حدث.

فَقَـال ورَقَـةُ: إن الَّذِى نَزَل عَلَيْك هو الذى نزل على موسـى - عليه السلام - وإنكَ ستكونُ نبىَّ هذه الأُمَّة.

وارْتَفَعَ صوتُ خديجة رضي الله عنها فى فرحٍ:

– وأَنا أَوَّلُ مَنْ آمَن بِكَ يا رَسُول اللهِ. «أَشْـهَدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله وأَنَّكَ رَسولُه ونَبِيُّه».

---

(١) سورة المدثر، الآيات من (١ إلى ٧).

(٢) دخل فى دين النصارى.

(٣) لغـة اليهـود.

وقَدْ وهَبْتُ نفسِى ومالِى لله، وللجهادِ فى سبيلِ الله.

فأَشْرَق السرورُ فى وجهِ الرسولِ ﷺ، وتَلأْلأَ البيتُ بالنُّور القُدْسِىِّ.

وكان ورقةُ بنُ نوفل قدْ أَقبلَ إلى بَيْتِ الله، فى هذا الوَقْتِ مبكرًا، فاشتدَّ سرورُه حينَ قابَلَ الرسولَ ﷺ، وصاحَ به يُهنِّئُه، ويُوصِيهِ بالثَّباتِ والصَّبْرِ، والمُضِىِّ فى طريقِهِ بشَجاعَةٍ وقُوَّةٍ، ثم جلَسَ إليه يُحَدِّثُه عمَّا سيُلاقِى من قومِه، مِنَ التكْذِيبِ والسُّخْرِيَةِ والاضْطِهادِ.

ودَعت السيدة خديجة رضي الله عنها صاحباتِها وجاراتِها، فَلَمَّا اجتَمَعْن عِنْدها وجَلَسْنَ إليها، وتناوَلْن تحيتَها، أخبرتْهُن برسالةِ زوجِها.

فلَم يَمْضِ غيرُ قليلٍ حتى انْتَشَر الخبرُ، وملأَ بُيوتَ مكةَ، فقابَله الكثِيرون بِالسُّخْرِيةِ والاسْتِهزَاءِ.

لكنَّهم عادُوا إلى أنْفُسِهم يَتَساءَلون فى دهشةٍ:

– لماذا صنَعَ محمدٌ هذا الَّذِى شاعَ؟! لم نُجَرِّبْ علَيه كَذِبًا، ولم يَسْمَعْ عنه أحدٌ غيرَ الصِّدْقِ، والأمانَةِ، والفَضْلِ، والعَقْلِ الرَّاجِحِ!

وما بالُ خَدِيجةَ رضي الله عنها؟!

لم نُجَرِّبْ علَيها غيرَ العَقْلِ، والرَّزانَةِ[١]، وبُعْدِ النَّظَرِ، فَما بالُها تقولُ هذَا القَوْلَ، وهِيَ لا تَنْخَدِعُ، ولا تَجْرِى وَرَاءَ الخيالِ؟!

ثم رَجَعوا إلى أنْفسِهم، وقد طغَى الحِقْدُ والحَسَدُ على عُقولِهم، يَتَّهِمُون خديجةَ رضي الله عنها بِجنُونٍ اعْتَراها[٢]، وأَخْرَجَها عن عَقْلها الثَّابِتِ، لكنَّهم أَخَذوا يتساءلون:

- وهَلْ يَتَّفِقُ أن يَعْتَرِيَها الجنونُ، هِيَ وزوجَها فى ليلةٍ واحدةٍ، وبِصُورَةٍ واحدةٍ؟!

وجعَلْت النِّساءُ يَتَرَدَّدن علَى خديجةَ رضي الله عنها كُلَّ يومٍ، يَسأَلْن عمَّا نَزَلَ من السَّماءِ من كِتابِ الله.

وكان الوَحْىُ قدِ انْقَطعَ، وحارَ الرسولُ فى أَمرِه، ووَقَفَت السيدة خديجة رضي الله عنها مِنْ أولئك النسوةِ فى حيْرَةٍ شديدةٍ، فَبِماذا تُجيبُهُن، وقد انقطعَ الوَحْىُ؟!

واشتدَّ بها الحُزنُ، مخافَةَ أن يكون اللهُ قدْ تَخَلَّى[٣] عن نَبِيِّه، فَيَفوتَها ذلك الشَّرَفُ العظيمُ، الذى أَعَدَّتْ نَفْسَها ومالَها لَه.

---

(١) الوقــار.
(٢) أصابهـــا.
(٣) تـــرك.

وزادَ حُزنَها ما رأت علَى رَسولِ اللهِ من الهمِّ والقَلَقِ، وأخذَت تُواسِيه وتُطْمِعُه فى فَضْلِ اللهِ، وتُؤَكِّدُ له قُرْبَ عودَةِ الوَحْيِ بآياتِ اللهِ.

لكنَّ الوَحْيَ لم يَعُدْ، فاشتدَّ بالرسولِ القَلَقُ والحُزنُ، فوقَفَت بجانِبِه، تُشَجِّعُه، وتُقَوِّى فؤادَه، وتقولُ له كُلَّما فاضَ بِه الهَمُّ والألَمُ:

– لاَ تَحْزَنْ يا رسولَ الله، فما شِدَّةٌ إلاَّ وتَزولُ، وما صَعْبٌ إلاَّ ويَهونُ، وما ضِيقٌ إلاَّ وبَعْدَهُ الفَرَجُ، ولله فِيما يصنَعُ إرادَةٌ وتَدْبيرٌ!

ثم تَتَوسَّل إلى اللهِ أَن يَرْحمَ نَبِيَّه، ويُزِيلَ عنه ما أَهَمَّه وأَشْقاهُ، والرسولُ شارِدُ الفِكْرِ، ضائِقٌ بما حلَّ به، لا يَدْرِى ماذا يَصْنَعُ.

وبينمَا هِيَ نَاظِرَةٌ إليه بِوَجْهٍ باشٍّ، مُطْمَئِنٍّ، واثِقٍ فى عَطفِ اللهِ وفَضْلِه، تُلْقِى على سَمعِه عباراتِ التَّشْجيعِ والتَّطْمِينِ، رأَتْه يَنْتَفِضُ والعَرَقُ يَتَصَبَّبُ مِن جَبِينِه، فاهْتَزَّ جِسْمُها إشْفاقًا عليه، ولمَّا هدَأَ قالَت له فى بَشاشةٍ ورِفْقٍ:

ـ ما تَرَكَكَ ربُّك يا أبا القاسِمِ، وما تَخَلَّى عَنك!

فابْتَسَم ابتِسَامة الرِّضا، ثم تلاَ على سَمْعِها بصوتِه اللَّطِيفِ ما نزلَ بِه الوحىُ، بعدَما استعاذَ باللهِ من الشيطانِ الرَّجيمِ، رافِعًا صوتَه، قائِلًا فى سُــرورٍ:

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

﴿ وَٱلضُّحَىٰ[1] ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ[2] ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ[3] ٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ[4] ٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ[5] فَتَرۡضَىٰٓ ٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ[6] ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا[7] فَأَغۡنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ[8] ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ[9] ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١ ﴾[10].

---

(١) وقت ارتفاع الشمس.
(٢) سكن وهدأ.
(٣) قطعك وتركك.
(٤) الدنيـا.
(٥) يعطيك الكمالات وظهور أمرك.
(٦) جعل لك مأوى.
(٧) فقــيرًا.
(٨) لا تغلبه على ماله.
(٩) تزجــر.
(١٠) سورة الضحى الآيات (من ١ إلى ١١).

فَغَمَرتِ الفَرْحَةُ والرِّضا قلبَ خديجةَ ﷺ، وزادَ سُرورَها ما رأَت فی وَجهِ الرسولِ مِنَ الغِبْطَةِ والاطْمِئْنانِ، ثم جعَلت تُفكِّرُ فی هَذه الآياتِ وجَلالِها:

إنَّها أَوامرُ اللهِ وتَعاليمُه يا خديجةُ !

يَدْعُو إلَى الآخِرَةِ والعَمَلِ لَها، فَهِيَ خيرٌ وأَبْقَى من الأُولَى.

يُذَكِّرُ الرَّسولَ بنِعْمَةِ اللهِ علَيه، ويَدْعُوه إلى الاستعداد والجِدِّ، والدَّعْوَةِ إلى اللهِ طَاهِرًا مُطَهَّرًا.

يُوصِی باليَتِيمِ والمِسْكِينِ والسَّائِلِ والمحرومِ..

من ثمار هذا الفصل

- اعتكاف النبى ﷺ فى غار حراء للتأمل والتفكر فى صنع الله – سبحانه وتعالى – فى الكون كان تمهيدًا لنزول الوحى عليه وبداية بعثته بدين الإسلام.
- قامت السيدة خديجة رضي الله عنها فى بدء الرسالة بتثبيت قلب النبى ﷺ وطمأنته.
- السيدة خديجة رضي الله عنها أول من آمن من النساء برسالة محمد ﷺ.
- ما نزل على محمد ﷺ من الوحى هو ما نزل على موسى وعيسى وجميع الرسل. عليهم السلام.
- شاركت السيدة خديجة رضي الله عنها النبى ﷺ فى نشر الدعوة حين كانت تدعو صاحباتها وجاراتها إلى الإسلام.

المناقشـــة

السؤال الأول: تخيـر الإجابة الصحيحة ممـا بين القوسين فيما يلى:

(ا) كان محمد ﷺ قبل بعثته ينقطع شهرًا للتأمل فى:

(غار ثور – المنزل – غار حراء)

(ب) أول ما نزل من الوحى قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

(يأيها المدثر – يأيها المزمل – اقرأ باسم ربك)

(جـ) من صفات محمد ﷺ أنه كان:

(واصلًا للرحم – مساعدًا الضعفاء – مكرمًا الضيف ـ معينًا على نوائب الدهر – جميع ما سبق)

السـؤال الثانـى: ضع علامـة (✓) أمـام العبـارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلى:

(ا) أول نزول للوحى على محمد ﷺ كان فى شهر رجب. (   )

(ب) ورقة بن نوفل كان قد ترك عبادة الأصنام واعتنق

اليهودية. ( )

(جـ) بشر ورقة محمدًا ﷺ بأنه سيكون نبيًا. ( )

(د) السيدة خديجة رضي الله عنها أوَّلُ من آمـن بالنبى ﷺ. ( )

السؤال الثالث:

«دعـت السيدة خديجة رضي الله عنها صاحباتهـا وجاراتها، فلما اجتمعن عندها وجلسن إليها وتناولن تحيتها...».

(ا) لماذا دعت السيدة خديجة رضي الله عنها جاراتها؟

(ب) كيف استقبل أهل مكة الخبر؟

السؤال الرابع: املأ كل فراغ مما يلى بالكلمات المناسبة:

(ا)انقطع .... عن الرسول ﷺ فترة وحار الرسول ﷺ فى أمره.

(ب)اشتد بالرســول ﷺ الحزن مخافـة أن يكـون الله قد .... عنه.

السؤال الخامس: صل كل عبارة من المجموعة (أ) بما يناسبها من المجموعة (ب):

(أ)	(ب)
١- اتهم البعض السيدة خديجة رضي الله عنها بالجنون	١- والله لا يخزيك ربك أبدًا
٢- بشر ورقة الرسول ﷺ قائلًا:	٢- إنك ستكون نبى هذه الأمة
٣- اشتد القلق والحزن بالرسول ﷺ.	٣- غمغمت بكلام تفوح منه رائحة الحزن
٤- طمأنت خديجة رضي الله عنها محمدًا ﷺ قائلة:	٤- بسبب انقطاع الوحى فترة
	٥- بسبب الحقد والحسد

٦ أُمُّ المؤمنين والجهر بالدعوة

تَوالَى[(١)] نُزولُ الآيـاتِ مِن عندِ اللهِ علَى رسـولِ اللهِ ﷺ، والسيدة خديجة رضي الله عنها تسمَعُها وتُذِيعُها بينَ مَن يَوَدُّها من النِّسوَة. وتوالَت تعاليمُ اللهِ لِنَبِيِّه، فكانت خديجةُ أَوَّلَ مَنْ يَتَلَقَّاها ويعْمَلُ بها:

وبَدَأَت تَعاليمُ الإسلام تَنْتَشِرُ بينَ ذَوِى العقولِ السَّلِيمَةِ، والقلوبِ الخَيِّرَةِ، والنُّفوسِ الصَّافِيةِ، التى أدْرَكَت ما فِيها من خَيْرَى الدُّنيا والآخِرَةِ.

آمَنَ بِها بعضُ كُبرَاءِ مكةَ، وكثيرٌ من الضعفاء والمستعبدين، لأَنَّهم وَجَدوا فى هذا الدِّين الجديدِ، مُنْقِذًا ممَّا يُلاقون مِنَ الظُّلمِ والذُّل والاسْتِعبادِ.

وجَدوه يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحسانِ، وإيتاءِ ذِى القُرْبَى ويَنْهَى

(١) تتابــع.

عنِ الفَحْشاءِ والمُنكَرِ والبَغْى، وَيُساوِى بينَ الناسِ، ويَجْمَعُ القُوَى المتَفَرِّقةَ فى وَحْدَةٍ واحِدَةٍ، تَعْملُ للخيرِ فى جانِبِ اللهِ.

وقد بَدَأَ رُؤَساءُ مكةَ يَرْتابُونَ[1] فى هذا الدِّينِ، ويَخافون قوَّتَه، ويَخْشَوْن تعالِيمَه، وتَنَبَّهوا إلَى كثرةِ من يَعْتَنِقُونَهُ[2] يومًا بعدَ يومٍ، فأَخَذوا يَكِيدُونَ[3] لِمن يَدْخلُون فِيه كَيْدًا بالِغَ العُنْفِ:

إِذَا كانوا عَبِيدًا أو ضُعَفاءَ، عذَّبُوهم بأَقْسَى أَلوانِ العَذاب، لِيُخْرِجوهم عَنْ دِينهم الجديد، ويردُّوهم إلى دينِهم القدِيمِ.

وخديجةُ ﵂ تُمِدُّ هؤُلاءِ الضُّعَفاءَ بمالِها، وتَغْمُرُهُم بِحنَانِها، بعدَما طرَدهم الكفارُ وحرمُوهم العملَ وحَقَّ الحياةِ.

وكان علَيها أن تَتَبرَّعَ بمالِها كذلِك لتُعْتِقَ العبيدَ، الذين يتعَرَّضون لأَقْسَى ألوانِ الأذَى والعذابِ، صباحًا ومساءً، لأنَّهم تركوا الأصنامَ وقالوا: رَبُّنا اللهِ.

---

(١) يشكُّــون.
(٢) يؤمنون به.
(٣) يدبرون الأذى.

كانت مفتَّحةَ القلب لهذا الجِهادِ، مُقْبِلَةً عَلَيه بِهِمَّةٍ ونَشاطٍ وعَزمٍ، وكلَّما اشْتدَّ تَوَهُّجُه زادَت فَرْحَتُها وسرورُها.

واشتدَّ سرُورُها حينمَا أنجبَتْ لرسولِ اللهِ ﷺ ابنَهُ عبدَالله.

واهْتَزَّتِ الدارُ فَرَحًا لِخَدِيجةَ رضي الله عنها ، وأقبلَ الأحِباءُ مسرِعين يُهنئُون، ووهَبت السيدة خديجة رضي الله عنها للفقراءِ والمساكِين، وبَذَلَتْ للمُحْتاجِين، واضِعةً كُلَّ أمَلِها في هذا الوَلِيدِ الَّذي جاءَ بعدَ عَطَشٍ شَدِيدٍ.

لكِنَّ اللهَ يُرِيدُ ولا رادَّ لِقضائِه، ولِحِكْمَةٍ يعلَمُها، اخْتارَ عَبْدَ اللهِ إلى جوارِه بعدَ قليلٍ، فارتَجَّتِ الدارُ رَجَّةً عَنِيفَةً، وبَكَتْ خديجةُ رضي الله عنها ، وحزنت بناتُها، وأقبلَ الرسولُ ﷺ عليها يُغالِبُ حزنَه، يُواسِيها، ويواسِيهن.

وكـان رُؤَسـاءُ مكةَ فـي أَوَّلِ الأمـرِ يَنظُرون إلـى دَعْـوةِ الرسولِ ﷺ كما نَظَروا إلى دَعوةِ من سَبقوه من الحُكَماءِ، وإنْ كانوا يَسْخَرون من أتْبَاعهِ، ويَتَسَلَّوْن بِمُداعَبَتِهم أو تعذيبهم حينَ يَروْنَهم أو يتعامَلون معَهم.

ولم يكُنِ الرسولُ قد وجَّه الدَّعوةَ إلى هؤُلاءِ الرُّؤَساءِ عَلَنًا، بل كانَ يَدْعو إلى اللهِ فى الخَفَاءِ.

واستمرَّت هذِه الدعوةُ فى أسْتارِ الخَفاءِ ثلاثَ سنَواتٍ يَفِرُّ المسلِمون فيها بِصَلاتِهم وعبادَتِهم إلى شِعابِ[1] مكةَ، ويَجْتَمِعون سِرًّا فى دارِ أحدِهم، ويتحدَّث بعضُهم إلى بعضٍ فى هَمْسٍ، ويَبْتَعِدون عن أَعْيُنِ رُؤساءِ قريش ما اسْتطاعوا إلى ذلك سَبيلًا.

وذاتَ يومٍ دخَلَ الرسولُ ﷺ على خَديجةَ رضي الله عنها قَلِقًا، يَبْدو عَليه تفكيرٌ ثَقِيلٌ، فأحَسَّت بما فِى نفسِه، ودَنَت مِنه باسِمَةً، ثم سأَلته فى رِفْقٍ:

ـ خيرًا يا رَسُولَ اللهِ! أَجَدِيدٌ أَهَمَّكَ مِن أولئِك الأَشرارِ، الحاقِدينَ علَى دِينِ اللهِ؟!

نَظَر الرسولُ ﷺ فى وجهِها الحنونِ المُشْرِقِ، ثمَّ تَلاَ: علَيهَا قولَ اللهِ تعالَى:

---

(١) الطرق فى الجبل.

- ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ[1] الْأَقْرَبِينَ[2] (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ[3] لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ[4] (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠) ﴾[5].

فانْبَسَطَ وَجْهُ السيدة خديجة رضي الله عنها وزادَ تَلألُؤًا، وقالَت فى هُدوءٍ: ـ حَقًّا يا رَسولَ الله، لابُدَّ مِنْ إنْذَارِ عَشِيرَتِكَ الأَقْرَبِينَ، وتَبْليغِهم رِسالة ربِّك، حتَّى يَسْمَعوا كلامَ الله، ويتَدَبَّرُوا أَمْرَه، ويَعُمَّهُم ما نالَ غيرَهم من فَضلِ الله، ومَنْ أَحَقُّ يا رسولَ الله بِالخَيْرِ العَميمِ مِنَ الأَقْرَبِينَ؟!

- أَلَسْتَ يا رسولَ الله، تدْعُو إلى الحقِّ وإلى الطريقِ المستقيمِ؟! إنَّ اللهَ معَك، ولنْ يَخْذُلَك[6] أو يَتَخَلَّى عنْك. فادْعُهم

(١) خوْف من العاقبة.
(٢) بنى أبيــــك.
(٣) تَوَاضَــــعْ.
(٤) تنقلك بينهم لتعرف أحوالهم.
(٥) من سورة الشعراء الآيات (من ٢١٤ إلى ٢٢٠).
(٦) يتركـــــك.

كما أمرَك ربُّك، وحادِثْهم، واقْرَأْ علَيهم القُرآنَ الكريمَ، فعَسَى أن تَلِينَ قلوبُهم لما يَسْمَعُون من الحقِّ، وتمِيلَ نفوسُهم لما يَعْرِفُون من الصِّدقِ، ويتَغلَّبوا على شيَاطِينهم، ويَدخلُوا فى دينِ اللهِ القَويم، وإلاَّ فَرَبُّك للظَّالِمينَ بالمِرْصادِ[1].

واسْتَقَرَّ الرأْىُ على أن تَصْنَع لهم خديجةُ ﵂ طَعامًا فى بيتِها، يَدعوهم الرسولُ إلَيه، ثم يَعْرِضُ علَيهم أمرَ اللهِ، وتعاليمَ دِينهِ، ومقاصِدَ رسالتِه، وما بِها من الخيرِ للنَّاس جميعًا، لَعَلَّهم يتركون الباطِلَ، ويعودون إلى الحقِّ، وتُؤَثِّرُ المُواجَهَةُ فى قُلوبهم المُتَحَجرةِ فَتلِينُ.

وفى الصَّباحِ خرجَ الرسولُ إلَيْهم، يَدْعوهم إلَى وَلِيمَةٍ[2] قد أقامَها لهم، وانْهَمَكَتْ خديجةُ ﵂ فى إعدادِ الطعامِ، راجِيَةً أن يُلَبِّىَ هؤلاء دعوةَ النبىِّ، ويدخُلوا فى دِينِه، ولا يَتَكَبَّروا، ولا تَأْخُذَهم العِزَّةُ بالإثْمِ، ويَنْتَهِىَ الأمرُ ويعودَ السَّلامُ.

فلمَّا حانَ وقْتُ الغَداءِ، اجتمَع القَوْمُ فى دارِ خديجةَ ﵂، بينَ

---

(١) المرصاد: طريق الرصد والمراقبة، أى أن الله يراقبهم ويرصد حركاتهم وأعمالهم، فيحاسبهم عليها.

(٢) الوليمة: طعام العُرس أو غيره.

التَّرْحِيبِ والتَّحِيَّةِ الرَّقِيقَةِ والبَشاشَةِ والبِشْرِ، ثم جلَسوا يتحدَّثون عَنِ المالِ وأُمورِه، والتجارةِ وأنواعِها وطُرُقِها، وشُئُونِ الحَرْبِ والسِّلْمِ، فلمَّا طَعِمُوا ما أرادوا مِنْ لَذِيذِ الطعامِ وفاخِرِه، أرادَ الرسولُ ﷺ أنْ يُحَدِّثَهم عَنْ دعوتِه، فلَم يَحْتَمِلُوا أَنْ يَسْمَعُوا، ونَفَرُوا وثارُوا، وخَرجوا غاضِبِين ساخِطِين.

أخذتْ خديجةُ رضي الله عنها تهوِّنُ عليه فِي صوتٍ هادِئٍ رقيقٍ:

- لا تَيْئَسْ يا رسولَ اللهِ، فأنتَ تَدْعوهم إلى خيرِهم، فإنِ اهْتَدَوْا فَلأَنْفُسِهم، وإنْ ضَلُّوا فَعَلَيهم إِثْمُ عِنادِهم. وهَلْ هُناكَ مانِعٌ مِن أَنْ تَدْعُوَهم مَرَّةً أخرَى، فَرُبَّما عَقَلوا، وظهر لهم وجْهُ الصوابِ الَّذِى عَمُوا عنه!

وذاتَ صباحٍ قريبٍ، صَعِدَ الرسول ﷺ «الصَّفا»[1] ونادَى من فوْقِهِ بأَعْلى صوتِه قائِلًا: يا مَعْشَرَ قُرَيش! يا مَعْشَر قريش! إلَيَّ، إلَيَّ!

فَلَمَّا سمِعوا نِداءَه أَسْرَعُوا يَنْظُرون، ويَسْتَوْضِحونَه ما يُرِيد،

---

(١) موضع بأصل جبل أبى قُبَيْس بمكة.

ثم أقبلُوا عليه يَسأَلونَه عن سببِ هذا الصِّياحِ وتلكَ الدَّعْوَةِ، فأخبرَهم بأنَّ رَبَّه أمْرَه بإِنْذَارِهم، وتَبْلِيغهم دَعْوتَه جهارًا، فوقفَ يُبَلِّغُهم أمرَ رَبِّه، ويُحَذِّرُهم غَضَبَه، ويدعُوهم إلى العَلِيم الخَبِيرِ الواحِدِ الأَحَدِ، الفَرْدِ الصَّمَدِ، الَّذى لا شَرِيكَ له ولا وَلَدَ.

فانْفَجَروا ساخِرِين مُقَهقِهِين، وصاحَ عَمُّه «عبدُ العُزَّى» فى غَضَبٍ شديدٍ:

- تَبًّا[1] لَكَ يا محمدُ! أَلِهذَا جَمَعْتَنا، وأَقْلَقْتَ راحَتَنا، وأَضَعْتَ وَقْتَنا؟!

فتغيرت وُجوهُ أصحابِ محمدٍ ﷺ، ونظرَ أعمامُه بعضُهم إلى بعضٍ فى عجبٍ، ثم وَجَّهوا الأَبْصارَ إلى عبدِ العُزَّى، وسَدَّدوها إليه غضَبًا، وعتْبًا عليه لِتَسْفِيه ابنِ أَخِيه أمامَ الجُموعِ الحاشِدَةِ مِن النَّاسِ، كَأَنْ لَيْسَ له عَشِيرَةٌ تَقِفُ بجانِبه، وتَمَنَّى المُحِبُّونَ لمحمدٍ ﷺ، لو أنه سَدَّدَ إلى عبدِ العُزَّى ضَرْبَةً نافِذَةً تُخْرِسُ لسانَه، وتَخلعُ قلبَه، وتَثْأَرُ من تَطاوُلِه على ابنِ أَخِيه واسْتِهانَتِه بِذَوِيه.

---

(١) هلاكًا.

وكان اللهُ مع رسولِه، فأَنْزَلَ وَحْيَه علَيه بالإجابَة المُخْرِسَةِ، فَتَلاها الرسولُ على الناسِ صائِحًا بأَعْلَى صَوْتِه، بعدَما اسْتعاذَ باللهِ من الشَّيطانِ الرَّجيم قائِلًا:

- ﴿ تَبَّتْ[1] يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ[2] ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ[3] ۝٢ سَيَصْلَىٰ[4] نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ[5] ۝٤ فِي جِيدِهَا[6] حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ[7] ۝٥ ﴾[8].

وانْطلقَ هذا الرَّدُّ الإلهيُّ كأَنه البَرْقُ، حتى شَمِلَ مكةَ كُلَّها، وردَّدَته أَفْواهُ الرِّجالِ والنِّساءِ، والكبارِ والصِّغارِ، ووَصَلَ إلى مسامِعِ عبدِ العُزَّى وامْرَأَته أُمِّ جميلٍ، سُخْرِيَةً لاذِعَةً، وقَذائِفَ نافِذَةً، فاسْتَشَاطا غضَبًا، وعزَم عبدُ الْعزَّى على أَنْ يَثْأَرَ لنفسِه، وَيُكمم الأفواهَ[9]، فَلا تَنْطِقَ بهذِه الكِلماتِ القاتِلَةِ.

---

(١) هلكت نفسه.
(٢) هــلك.
(٣) لم ينفعه ما كسب من مال وجاه.
(٤) يدخــل.
(٥) سيدخل جهنم وامرأته تحمل الحطب فيها.
(٦) عنقهــا.
(٧) مفتول من الليف.
(٨) سورة المسد.
(٩) يربطهــا.

وأقْسَمَت أُمُّ جميلٍ، علَى أن تَنْتَقِمَ من محمدٍ ﷺ وخَديجةَ رضي الله عنها،
وأن تُحيلَ جِوارَهما نارًا وشَرارًا، وأسرَعت إلى زوجها غاضبةً
من سُخريةِ النساءِ بها، بأقوالِهم، وبالسِّهامِ التى تُسَدَّدُ إليها
منْ أَعْيُنِهم الضَّاحِكة مِنها، ومِن الحَبْلِ الذى وَضَعَه القرآن فِى
جِيدِها، والحَطَبِ الذى تَحْمِلُه.

وجَعَلت تَهُزُّه وتَصيحُ به، قائِلَة:

– ماذا بَقِى بعدَ اليومِ يا عبدَ العُزَّى؟!

إمَّا أنا فى الدارِ وإمَّا طلاقُ ابْنَتَى خديجةَ، لأَرُدَّ بالضربةِ
النافِذَةِ إلى قلبِها وقلب زَوجِها، كما سُدِّدَت الضربةُ القاتِلَةُ إلى
قلبِى وقلبِك!

ولم يكنْ عبدُ العُزَّى بِأَقَلَّ منها غضبًا وثورةً، وعزمًا علَى
الانْتِقَامِ العاجِلِ، فأسرعَ إلى ابْنَيْه، وكانا قَدْ عقَدا عَقْدَىِ الزواجِ
على رقَيَّةَ وأُمِّ كُلْثومٍ ابْنَتَى رَسولِ اللهِ ﷺ، ولم يَدْخُلا بِهِما،
وصاحَ بِهما قائِلًا فى شِدَّة:

– أَسَمِعْتُما ما قالَ محمدٌ فِىَّ وفِى أُمِّكُما؟! إما أنا وإمَّا ابْنتا
خديجةَ! لابُدَّ من طلاقِهِما، لأُحْرِقَ به قلبَ محمدٍ ﷺ وزَوْجَتِه!

فأطرَق الوَلدانِ قليلًا يُفكِّران، فاشتَدَّ بِه الغضَبُ، وصاحَ يُهَدِّدُهما، قائِلًا فى صوتٍ غَلِيظٍ:

- فِيمَ تُفكِّران أيُّها الوَلَدَان؟! إنْ لم تُطَلِّقاهما فلَسْتُ أباكُما، وسأَقطعُ حَبْل صِلَتى بكُما ما حَيِيتُ، ثم أموتُ ساخِطًا عليكُما!

فلَم يَجِدِ الوَلدان أمامَ ثَوْرَةِ أَبيهما وأُمِّهما، إلاَّ أن يُضَحِّيا بِحُبِّهما، ويَخْضَعا لما أَرادَ أَبوهُما وأُمُّهما الثائِرَانِ عَلَيهما، ويُطَلِّقا الفَتاتَيْن وإنْ كانا يُحِسَّانِ بالجُرْحِ الغائِرِ فى صَدْرِيْهِما، يَعْرِفان أنَّهُما لن يُعَوَّضا عَنْهما أبدًا، فَلاَ أَحَدَ مِثْلهُمَا جمالاً وأدبًا وتَرْبِيَةً قَوِيمَةً.

فلَمَّا بلغَ السيدة خديجة رضي الله عنها الخَبرُ، انْتَفَضَتْ صائِحةً، تَقُولُ فى فَرحٍ شَدِيدٍ:

- الحَمْدُ لِلَّهِ! أزَالَ اللهُ عنَّا شرًّا كبيرًا، ورحمنَا رحمةً واسِعَةً.

ثم رفَعت يدَيها إلَى السماءِ، شاكِرةً فضلَ اللهِ، الَّذى فرَّقَ بينَ ابْنَتَيْها الوَدِيعَتَيْنِ الرَّقِيقتَين المُؤَدَّبَتين، وبينَ ابْنَى

أبى لَهَب، وانْتَزَعَهُما من بيتِ أُمِّ جميلِ السَّليطةِ[1] اللِّسانِ، الخبيثةِ الطَّوِيَّةِ[2]، وباعدَ بينَهما وبين شرِّها وأَذاها.

وسُرَّ الرسولُ ﷺ لِهذا التَّوْفِيقِ، وشكرَ ربَّه الَّذى أَنْقَذَ ابْنَتَيْه من شَرِّ أَبِى لهبٍ وامْرَأَتِه، وتزَوَّجَ عثمانُ بن عفانَ رضي الله عنه السيدةَ رقيَّة رضي الله عنها.

لكنه تَأَكَّدَ أنَّ حَرْبَهما لن تنتَهِىَ، وأن هذَين الشِّرِّيرَيْن سَيُشَمِّرَانِ للعَداوَة الظَّاهِرَة، والمكايدِ السَّافِرَة.

وتَوَقَّعت خديجةُ رضي الله عنها أنْ تبدأَ أُمُّ جميلِ الكَيْدَ لَها، بما تَكِيدُ به النِّساءُ بَعْضُهن لِبَعْضٍ وأَكْثَر، فأم جميلٍ تَفُوقُ الجميعَ فى هذا المجال، مِنَ الشَّرِّ والأَذَى، بما طُبِعَت عليه ونَشَأَت فِيه، وعاشَتْ فى حَمْأَتِه.

(١) الطويلة.
(٢) الباطن.

من ثمار هذا الفصل

- تعاليم الإسلام تنتشر بين ذوى العقول السليمة.
- بعض كبراء مكة يجدون فى الإسلام الأمر بالعدل والإحسان والنهى عن الفحشاء والمنكر والمساواة بين الناس.
- كانت السيدة خديجة رضي الله عنها خير معين ومؤيد للرسول ﷺ على الجهر بالدعوة.
- عبد العزى «أبو لهب» عم النبى ﷺ تزعم هو وامرأته «أم جميل» الحرب على رسول الله ﷺ.
- لم تَسْلم السيدة خديجة رضي الله عنها من أذى الكفار بسبب مساندتها رسول الله ﷺ.
- بدأ رسول الله ﷺ الدعوة إلى الإسلام سرًّا ثم جهر بها بين أهله أولًا ثم جهر بها بين الناس كافة.

السؤال الأول: أكمل ما يلى:

(أ) اهتـزت الدار .... لخديجـة رضي الله عنها ، وأقبـل الأحبَّـاء .... يهنئون، ووهبت السـيدة خديجة رضي الله عنها للفقراء ....

(ب) بدأت تعاليم الإسلام .... بين ذوىِ .... والقلوب الخيرة.

(جـ) آمن بدعوة الإسلام كثير من .... لأنهم وجدوا فى الإسلام منقذا مما يلاقون من ....

السـؤال الثانـى: ضع علامـة (✓) أمـام العبـارة الصحيحة وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلى:

(أ) ارتاب رؤساء مكة فى الدين الجديد وخافوا تعاليمه. ( )

(ب) عامل رؤساء مكة الضعفاء الذين أسلموا برفق ولين ليردوهم لدينهم القديم. ( )

(جـ) بذلت السيدة خديجة ﵂ جهدًا

كبيرًا لمساعدة الضعفاء المسلمين. ( )

(د) القاسم أول أبناء السيدة خديجة ﵂ فى الإسلام. ( )

السؤال الثالث: تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يلى:

(ا) قالت السيدة خديجة ﵂ للرسول ﷺ لابد من:

(سماع كلام الناس - تدبر الأمور جيدًا - إنذار عشيرتك الأقربين)

(ب) استمرت دعوة الرسول ﷺ فى الخفاء مدة :

(عام ـ عامين ـ ثلاثة أعوام)

(جـ) بدأ الرسول الجهر بالدعوة بين :

(أهله ـ أصدقائه ـ أهل مكة)

السؤال الرابع: علل لما يلى:

(ا) عدم استجابة رؤساء مكة لدعوة الرسول ﷺ.

(ب) عزم الرسول ﷺ على الجهر بالدعوة بين أهل مكة جميعًا.

السؤال الخامس: صل كل عبارة من المجموعة (أ) بما يناسبها من المجموعة (ب):

(أ)	(ب)
١- قالت خديجة رضي الله عنها في جد وعزم	١- لو سدد ضربة لعبد العزى تخرس لسانه
٢- لن أدعوهم هذه المرة وحدهم	٢- صاح عمه عبد العزى في غضب
٣- تبًا لك ألهذا جمعتنا؟!	٣- الحمد لله أزال الله عنا شرًا كبيرًا
٤- تمنى المحبون لمحمد صلى الله عليه وسلم	٤- ادعهم كما أمرك ربك واقرأ عليهم القرآن
	٥- بل سأدعو أهل مكة جميعًا

٧ فى مواجهة الحصار

أَخذَتِ المُواجهةُ بينَ النبيِّ ﷺ وبينَ قريشٍ، تَشْتَدُّ يومًا بَعْدَ يومٍ، والرسولُ ﷺ ماضٍ فى دَعوتِه، وقلوبُ القُرَشِيين تَكادُ تَتَمَيَّزُ(١) مِنَ الغَيْظِ، يفكِّرون ويدبِّرونُ ويَتَشَاوَرُونَ، ويَتَساءَلون عمَّا يعمَلون.

وأخيرًا.... قَرَّروا القَضاءَ على أَتْبَاعِ محمدٍ ﷺ، ليَكونوا عِبْرَةً(٢) لِمَنْ يُفكرُ فِى دخولِ هذا الدِّينِ، ولا يجدُ محمدٌ ﷺ حولَه أنصارًا، ولا مَنْ يَدْعوهم بدَعْوَتِه. ثم انْصَرفوا يُنفِّذون.

وتَرَدَّدَ فى مَكةَ الصُّراخُ والعَويلُ باللَّيْلِ والنَّهارِ، وشاعَت مناظِرُ التعذيبِ والتَّنْكِيلِ(٣) بالأَرِقَّاءِ والضُّعَفاءِ من المسلمينَ. مِنْهم مَن يُلْقَى فى الشمسِ الحارِقَةِ، التى تُذيبُ الحديدَ،

(١) تتقطع.
(٢) عظة.
(٣) التعذيب الشديد.

ويُوضَعُ حَجرٌ كبيرٌ ملتهبٌ علَى صدرِه، فَلا يَتحرَّكُ، ولا يستطيعُ الفِرارَ من تِلك الأشِعَّةِ التى تَشْوِيه.

ومِنهم مَن يُقْذَفُ بِه فى حُجْرَةٍ مُظلِمةٍ، بِلا طعامٍ ولا شرابٍ، حتى يُمَزِّقَ الجوعُ والعطشُ أحشاءَه.

والسيدة خديجة ﵂ فى وسطِ هذه المعركةِ، تَعْملُ بِثَباتٍ وعَزْمٍ وصبر، وتُؤَدِّى دَوْرَها على خيرِ ما يَنْبَغى:

مَدَّت يَدَها تمسحُ بها على جُرْحِ المجروحِ، وتُواسِيه، وتُشجِّعه، وتُبَشِّرُه بالنَّصر والظَّفَر.

وفَتَحَتْ خَزائِنها للمسلِمين على مصاريعها[1]، يأْخُذون منها ما يَشاءون، وبذَلت أموالَها فى سبيلِ الله، تَدْفَع ديون غير القادرين وتَشترِى الأَرِقَّاءَ المعَذَّبين وتُعْتِقُهم، وتُفَوِّتُ على القَرشيين تَضْيِيقَهُم على المُسلِمين فى تِجارَتهم وأعمالِهم.

لا تَهْتَم بذلك العبثِ الذى يصنَعونه، فلا تُلْقِى بالاً إلى تِلك الحِجَارَةِ المُتَساقِطَةِ على دارِها، والضَّارِبَةِ بابَها، ولا إلى ذلك

(١) أبوابهـــا.

الصِّياحِ، الذى يصيحُ به المُشرِكون وأطفالُهم حولَ دارِها بِبَذِيء القَوْلِ.

ولا تبالِى بمنظرِ أولئِك الأَشرارِ، وهم يَسِيرونَ خلفَ الرسولِ ﷺ ويُهَلِّلون، ويَرْمونَه بِأَحَطِّ الكلامِ وأقبحه، بل تَبْتَسِمُ، وتَنْتَظِرُ الرسولَ ﷺ حتى يَدْخُلَ الدَّارَ، فتُقابِلَه باشَّةً ضاحِكةً، وتُزِيلَ بابْتِسامَتِها وهُدوئِها ما أَهَمَّه، وتُزِيلَ بِيَدِها ما يكون قد أُلْقِى عليه من أَقذارٍ.

فلما رأَى الرسولُ ﷺ ما يَحِلُّ بأصحابِهِ من ذلك الأَذَى الذى لاَ يُطاقُ[1]، آثَرَ[2] أن يُبْعِدَهم عنه، وأَذِن لهم بِالهِجْرَةِ إلى الحَبَشةِ، لأَن بها مَلِكًا عاقِلًا رحيمًا، حتى يَأْذَنَ اللهُ بأمرِه، ويكشِفَ السُّوءَ عن عبادِه.

فَطَرِبَتْ[3] السيدة خديجةُ رضي الله عنها لهذا الإِذْنِ، وأسرَعت تُعاوِنُ المهاجِرين على التَّجَهُّزِ للسَّفَرِ، وتُقَدِّمُ لهُم ما يُعِينُهم على الرَّحِيلِ، وتُشَجِعُهم، وتُقَوِّى قُلوبَهُم، وتُهَوِّن عَلَيْهم الفِراقَ، وتُؤَكِّدُ لهم النَّصْرَ، وقُرْبَ التَّلاقى.

---

(١) لا يحتمل.
(٢) فضّل.
(٣) فرحت فرحًا شديدًا.

وزادَ طرَبُها، حينَ جاءَها عُثْمانُ بنُ عَفَّانَ ﷺ زَوْجُ ابنتِها رُقيَّةَ ﷺ، وهُو مِن أوَّلِ من أسلَموا، يُخْبِرُها بعزمِهِ هو ورُقيةُ، على الهِجرةِ مع المهاجِرين الأَوَّلين، وقالت فى رِضًا:

ـ بارَك اللهُ فيكَ يا عُثْمانُ، وبارَك فى رُقيةَ، وكتَبَ لكُما السلامَة، أمَّا نحنُ فسنَظَلُّ هُنا، حتى يَأْذَن اللهُ بأمرِه.

وفى ستارِ الليلِ، كان هؤُلاءِ المهاجِرون يَفرُّونَ من مكةَ بدِينهم، والسيدة خديجة ﷺ تُوَدِّعُهُم باسمةً مُتَجَلِّدَةً، لم يَبْدُ علَيها شَيْءٌ مما يَبْدو على الأُمَّهاتِ حينَ يُوَدِّعْنَ الأَوْلادَ الأَعِزَّاءَ.

وازدَادَتْ قُريشٌ فى تعذِيبِها للرسول ﷺ وللمسلمين وأخيرًا اتفق مشركو مكة علَى أن يَقْتُلوهم جوعًا وعَطَشًا، فيحاصرُوهم فِى مَكانٍ، ويَمْنَعُوا عنْهم القُوتَ (١)، ويُشَدِّدوا عليهم الحِصَارَ حَتَّى يُقْضَى عليهم، أو يتركوا محمدًا ﷺ، فَتَموتَ دَعْوَتُه، وهوَ ما يُحاوِلُون أن يَبْلُغُوه.

(١) الطعـــام.

كَتَبوا بينَهم كتابًا، تعاهَدوا فيه علَى بَنِى هاشمٍ وبَنِى عَبدِ المُطَّلبِ ومَنْ يَتْبَعونَهم، أَلاَّ يَبِيعوهم شَيئًا، أو يَبْتاعُوا[١] منهم شيئًا، أو يُخالِطوهم، أو يُشارِكوهم، أو يُصاهِروهم[٢] وأنْ يَكونوا يدًا واحِدَةً علَيهم وعلَى من يَعْطِفُ علَيهم، أو يُدافِعُ عَنْهم.

ثم خَتَموا هَذا الكِتَابَ بأَخْتامِهم، وعَلَّقوا هذِه الصَّحيفةَ الجائِرَةَ على أَسْتَارِ الكعبةِ، كما يُعَلِّقون أَضْخَمَ العُهودِ وأعظمَ المواثِيقِ، وأَثْمَنَ ما يُقَدِّرون من الخُطَبِ والقَصائِدِ، تأكيدًا لعَظَمَتِه، وضمانًا لاحْترامِهِ وتَبْجيلِهِ[٣].

وأمامَ هذِه المُعاهدَةِ الشِّرِّيرَةِ، اجتمعَ بنو هاشمٍ وبنو عَبدِالمُطَّلِبِ، وتشاوَروا، وقَرَّروا أن يَتَّحِدوا، ويَصْمُدوا[٤] لأُولئِك الجَبَّارِين، وألاَّ يَتْرُكوا محمدًا، ولو ماتُوا جوعًا وعَطَشًا، المُسلِمُون منهم وغَيْرُ المسلِمين.

---

(١) يشتروا.
(٢) يزوجوهم أو يتزوجوا منهم.
(٣) تعظيمه.
(٤) يثبتوا.

ورأوا أن يَدْخُلوا مَعًا فى شِعب مِنْ شعابِ مكةَ، يَجْمَعُهم كلَّهم، يَعيشون فيه معًا، بعيدًا عن مكةَ المُحَدَّدةِ المخالبِ، الكاشِرَةِ عنِ الأَنْيابِ، حتى يَقْضِيَ اللهُ بأمْرِه، واختاروا شِعْبَ أبِى طالب، ودَخلوا فيه مَعًا، بِنِسائِهم وأَطْفالِهم وشُيوخِهم وشَبابِهم، وأَصِحَّائِهم ومَرْضاهم..

ودَخَلَت السيدة خديجةُ رضي الله عنها معَهم، بِما اسْتَطاعَت من المالِ والزَّادِ، وبِشجاعَةٍ لا تَعْرِفُ الخَوْفَ، وعَزيمَةٍ لا تَعْرِفُ الضَّعْفَ، وهِمَّةٍ لا تَعْرِفُ الكَلالَ[1]، والمُشْرِكُونَ لا يَوَدُّون أَنْ تَدْخُلَ مَعَهم، خَوْفًا مِنْ تَدْبيرها، لا يَشكُّونَ فِى أنَّها سَتُفْسِدُ بِهِ عَمَلَهم كُلَّه وهِيَ دَاخِل الحِصارِ.

ثم انْتَشَرَ القرَشِيُّون فى السُّوقِ، هُنا وهُناك، يُحْكِمون الحِصارَ، ويَمْنَعون الزَّادَ عنْ أُولئك المُحاصَرينَ:

لا يَرَوْن قافِلَةً مُقْبِلَةً إلى مَكةَ بِطعامٍ، إلاَّ أَسرَعوا إليها، وأَحاطُوا بِها، ووَقَفوا يَنْظُرونَ:

(١) الضَعــــف.

إذَا رَأَوْا أَحَدًا مِمَّن بِالشِّعْبِ، أقبلَ على القافلَةِ شارِيًا لبَعْضِ السلَعِ، تَقَدَّم واحِدٌ منهم إلى أَصْحابِها، وعَرضَ عليه ثَمَنًا لها ضِعْفَ ما يَعْرِضُ صاحِبُ محمدٍ ﷺ، فَإِنْ زادَ، زادُوا ضِعْفَ ما عرَضَ، ولا يَزالون يَزِيدونَ حتى يَعْجِزَ عن الشِّراءِ، ويَتْرُكَ السِّلعةَ ويعودَ إلى الشعبِ صِفْرَ اليَدَيْنِ[1]، وهم يُتابِعونَه حتى يَبْتَعِد.

ولم يَدْخُلْ أَبو لَهبٍ الشعبَ مع بَنِى هاشِمٍ وبَنِى المطلبِ، فَقَدْ أَنْساه الحِقْدُ والغَيْظُ قَرابَتَه لابْنِ أخِيه وقَوْمِه، ووَقَفَ مِنْهم كَأَعْدَى الأَعْداءِ وأَشد، يَوَدُّ لَو أنَّه استَطاعَ أنْ يَنْسِفَهُم مِن فوقِ الأَرضِ نَسْفًا.

فانْقَطَعَ الزَّادُ عَنِ المُحاصَرِين، وكل يوم يَنْقُصُ الزَّادُ ويَشِحُّ القُوتُ، حتى نفد كُلُّه ولم يَبْقَ منه شَىْءٌ، فجعَلوا يَدُورونَ فى الشِّعبِ يَبْحَثون فى أَرْضِه عن شَىْءٍ يخفف ألم الجوعِ، ويَأْكُلون ما يُصادِفُهم مِنْ أوراق الشجر، فَهزلَت الأَجْسامُ، وانْهَدَّتِ القُوَى، وجَفَّت أَثْداءُ الأُمَّهاتِ، وانقطعَ لَبَنُها.

---

(١) خالى اليدين أى بغير شىء.

والسيدة خديجة رضي الله عنها بَيْنَهم صامِدَةٌ، تَضْرِبُ للناسِ المَثَلَ فى الشجاعَةِ والصَّبْرِ، وتُشجِّعُهم بكلامِها الرقيقِ، وقد بذَلت كلَّ ما اسْتطاعَت من مالٍ ومِن مُواساةٍ، قوِيَّةَ النفسِ كبيرةَ القلبِ، تَزْدادُ بَسْمَتُها اتِّساعًا كلَّما اشتدَّتِ المِحْنَةُ وطغَى البَلاءُ.

ومَعَ أنَّها كانَت فى وَسَطِ الشِّعبِ، بعيدَةً عن قُريش، إلاَّ أنَّهم كانوا يَخْشَوْنَها، ويُشدِّدون مُراقبَتَهم لَها، ولِمَن يَتَوَقَّعون أن يَصِلَ إليهم تدبيرُها.

وقد أَحسُّوا مع إِحْكامِ هذا الحصارِ وشِدَّةِ المراقَبةِ، بأَنَّ بعضَ الطعامِ يَدْخُلُ الشِّعبَ، فَزادُوا المراقَبَةَ، وزادَ نشاطُ أَبى جَهْلٍ المُشرِفِ علَى الحصارِ، ولم يَعُدْ يهدَأُ أبدًا، يدُورُ صارِخًا، مَهَدِّدًا، يقول بأَعْلَى صوتِه مُحَذِّرًا:

- سَوْفَ أُفْسِدُ علَى خديجةَ كُلَّ تَدْبيرٍ! سوْفَ أُحْكِمُ حَلَقاتِ هذا الحصارِ عليها قبل سِواها، ولـن يستطيـعَ أحدٌ مِن أَقاربِها أو أَتْباعِهَا، أَنْ يَخْتَرِقَ هذا الحصار.

وبَيْنما هُوَ ذاتَ ليلةٍ، يَدُورُ حولَ الشِّعبِ فِى يَقَظَةٍ شَدِيدَةٍ،

يَخْتَرِقُ الظلامَ بِعَيْنَيْه، ويَتَشَمَّمُ الأنفاسَ بِأنْفِه، ويَتَسَمَّعُ الخَطْوَ بِأُذُنَيْه، أَحَسَّ بوَقعِ أقدامٍ، ثم رأَى غُلامًا[1] يَحْمِلُ علَى ظهرِه قمْحًا، ويتَسَلَّلُ بِه فِى جُنْحِ اللَّيْلِ[2]، ومِن خَلْفِه رجلٌ من المشرِكين يُسرعُ مُهْتَمًّا، فقَفَزَ إلى الغُلامِ وأَمْسَكَ به، والتَفَتَ إلى الرجلِ وقالَ فى غَضبٍ شديدٍ:

– ما هذَا الَّذِى أَرَى؟! أَلَسْتَ مَعَنا يا حَكِيمُ بن حِزامٍ، لم تَنْخَدِعْ بمحمدٍ ولَمْ تدْخُلْ فِى دِينِه؟!

أَلَمْ نتَعاهَدْ على مُقاطَعَةِ هؤُلاءِ، حتَّى يَرْتَدُّوا عن الإِسلامِ، أَوْ يَمُوتوا جُوعًا؟!

ألم نَخْتِمِ الصَّحِيفَةَ مَعًا، ونُعَلِّقْها معًا على أستارِ الكعبةِ؟! فلِمَ صنَعْت هذا الَّذى يُخالِفُ العَهْدَ، ويُسْخِطُ القومَ، ويُغْضِبُ الآلِهَةَ؟!

فأسرعَ حَكِيمٌ فى ثَباتٍ:

– وما تَرانِى أَيُّها الإنْسَانُ قد صَنَعْتُ؟! أَتَدرِى ما هذا الَّذِى يَحْمِلُه الغُلامُ؟!

---

(١) خادمًا أو عبدًا.

(٢) ظلامـــــه.

لَعلَّك تَظُنُّه طعاما من مالِى، حَمَلته إلى مَن بالشِّعبِ، لأُفَرِّجَ كَرْبَهُم وأُنْقذَهُم من الهلاكِ المحقَّقِ!!

هذا دَيْنٌ كانَ عَلَىَّ لخالَتِى ! مالُ خدِيجةَ ﵂ أيُّها الرجلُ! فمتَى أُؤدِّى لَها دَيْنَها، وقد حَاصَرْنَاهَا وقطَعْنا صِلَتَنا بِها؟! أَأَنْتَظِرُ حتى تَموتَ؟!

يا للهِ !

أَلا تُرِيدُون أَنْ يُؤَدِّىَ الناسُ ما لَدَيْهِم من حقوق، ويَفُوا[1] بِما علَيهم من دُيونٍ؟!!

ثم أَمْسَكَ بِه وأشارَ إلى الغلامِ، فانْطلَقَ بما يَحْمِلُه حتَّى دَخَلِ بِه الشِّعْبَ، وأبوجهلٍ يَصْرُخُ، ويُحاوِلُ التخَلُّصَ من قَبْضته، ويصيحُ فى رِعْدَةٍ قائِلًا:

- خَدِيجَةُ ! خَدِيجةُ !

- خَدِيجةُ مِن وَراءِ كُلِّ تَدبيرٍ!! سنَقْتُلُ خديجةَ وآلَ خدِيجةَ!!

ثم انْفَلَت من يدِ الرجلِ، وانتقل مُسرعًا إلى رُؤَساءِ مكةَ،

(١) يــؤَدوا.

صارِخًا بِهم، لِيَرَوْا رأْيَهم فى خَدِيجةَ ﵂، يُؤَكِّدُ لهم أَنَّهم لَنْ يُفْلِحوا فى عَمَلٍ ضِدَّ محمدٍ ﷺ ودِينِه، إلاَّ إذا أزاحُوا خديجةَ ﵂ من أَمامِهم.

واسْتَمرَّ الحِصارُ ثلاثَ سنواتٍ طويلةٍ، أَنْفَقَتْ فيها خديجةُ ﵂ مالَها للهِ، راضِيَةَ النَّفْسِ، مُرْتاحَةَ القَلْبِ، تَبْعَثُ فى قلوبِ الرِّجالِ القوَّةَ، وفِى صُدورِ النِّساءِ الصَّبْرَ والثَّباتَ.

حتى أَذِنَ اللهُ بِتَحْطِيمِ هذا الحِصَارِ، فتحطَّمَ، ورَجَعَ المُحَاصَرون إلى دُورِهم، يَنْقلون الخَطْوَ على مَهَلٍ، من شدَّةِ ما بهم مِنَ الإعْياءِ.

وعادَت خديجةُ ﵂ إلى دارِها، قدْ زادَتْها المِحْنَةُ[1] قوةً وعَزْمًا، تفكِّرُ فيما ستَصْنَع قريشٌ بعدَ إخْفاقِها، وتُقَلِّبُ الرَّأْيَ فيما بَقِى لَدَيْها من ألوانِ الشرِّ والقسوةِ والإجرامِ.

ثم انْتَفَضَتْ فى خوفٍ وجزَعٍ، حين تذكَّرت أنَّه لم يَبْقَ فِى جُعْبَتِهم[2] غيرُ السَّهْمِ الأَخيرِ، وصاحَت فى قوةٍ:

لاَ، لَن يَقْتلوه أَبَدًا ! لن يُطْفئوا نورَ اللهِ أَبَدًا، أَبَدًا !!

---

(١) ما يمتحن به الإنسان من بلاء.

(٢) الجعبة: وعاء السهم.

- تعرض المسلمون الأوائل بسبب إسلامهم لأبشع ألوان التعذيب، لكنهم صبروا على الأذى فى سبيل نصرة دينهم.
- هاجر المسلمون الأوائل بسبب اضطهاد الكفار لهم إلى الحبشة لأن بها ملكًا نصرانيًّا عادلًا وجد المسلمون عنده العدل والرحمة.
- استخدم كفار مكة أسلوب الحصار والتجويع ضد محمد ﷺ وأصحابه وأهله، لكنه لم ينجح فى القضاء على الإسلام بسبب صمود النبى ﷺ والمحاصرين معه.
- تأثر حكيم بن حزام وهو من كفار مكة بما تعرض له المسلمون من أذى فى الحصار الظالم فكان يحتال لإيصال الغذاء للمحاصرين دون علم قريش.
- استمر الحصار الظالم ثلاث سنوات، وخرج منه المسلمون أكثر قوةً وعزمًا؛ لأن الشدائد تظهر معادن الناس.

المناقشـــة

السؤال الأول: املأ كل فراغ مما يلى بالكلمات المناسبة:

(ا) اشتدت المواجهة بين النبى ﷺ وبين ....
والرسول ماض فى ....

(ب) قرر القرشيون القضاء على .... محمد ليكونوا
.... لمن يفكر فى الإسلام.

(جـ) شاعت فى مكة مناظر .... بالأرقاء والضعفاء
من ....

السـؤال الثانى: تخير الإجابـة الصحيحة مما بين القوسين فيما يلى:

(ا) أذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة:

(لنشر الدين - لإبعادهم عن الأذى - هما معًا)

(ب) كانت الهجرة إلى الحبشة:

(لعدل ملكها - لطيب مناخها - لوفرة خيراتها)

(جـ) حين علمت السيدة خديجة ﵂ بهجرة ابنتها رقية ﵂ وزوجها: (بكت وحزنت . رفضت هجرتهما . دعت لهما)

السؤال الثالث: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلى:

(ا) تعاهدت قريش على حصار المسلمين لقتلهم جميعًا. (   )

(ب) حوصر المسلمون فى شعب على. (   )

(جـ) كان حِصَار قريش للمسلمين اقتصاديا فقط. (   )

(د) اتحد بنو هاشم وبنو المطلب وصمدوا فى مواجهة الحصار. (   )

السؤال الرابع: علل لما يلى:

(ا) علق المشركون صحيفة المقاطعة والحصار على أستار الكعبة.

(ب) كان المشركون لا يريدون أن تدخل السيدة خديجة ﵂ فى الشعب المحاصر.

(جـ) ماذا تعرف عن موقف الإسلام من «وأد البنات»؟

السؤال الخامس: صل كل عبارة من المجموعة (أ) بما يناسبها من المجموعة (ب):

(أ)	(ب)
١- كان حصار قريش للمسلمين	١- أثمن ما يقدرون من الخطب والقصائد
٢- حوصر بنو هاشم وبنو المطلب	٢- النخوة الإنسانية
٣- أكل المحاصرون فى الشعب	٣- فى شعب أبى طالب
٤- علق العرب على أستار الكعبة	٤- اجتماعيا واقتصاديا
	٥- من شدة الجوع أوراق الشجر

عادَت السيدة خديجةُ ﵂ مِنَ الشِّعْبِ فى مَوْكِبِ الأحِبَّاء، شدِيدة الفَرَحِ بنصرِ اللهِ، وهزيمةِ أعداءِ اللهِ، فَدَبَّتْ الحَياةُ فى الدّارِ واهْتَزَّتْ جوانبُها بعدَما كانَت ساكِنَةً، وأشرقَت بعدَما كانت مُظْلِمَةً.

وأسرَعت صديقاتُ أمِّ المُؤْمنِين ومُحِبَّاتُها إليها، يُعانِقْنَها، ويُهَنِّئْنَها بالسَّلامَةِ، ويُضاحِكْنَها، ويُدْخِلْن السرورَ علَى قلبِها، ويَطْرُدْنَ مِن صَدرِها كلَّ أثَرٍ لتِلك الفَتْرَةِ القاسيَةِ القاتِمَةِ.

وَماجَتِ[1] الدَّارُ بِجُموعِ الوافِدين علَيها من المسلمِين، تَتَجاوَبُ[2] أَصواتُهم بآيات القُرآنِ الكَريم، يُرَتِّلها الرسولُ ﷺ وإيَّاهم، بأصواتٍ رَخيمَةٍ تَهُزُّ القلوبَ وتَزيدُها خُشوعًا، وتَنْحَطُّ صُخورًا ثقيلةً على قلوبِ الكفارِ، الَّذين كادَ يَقْتُلهم الفشل.

---

(١) ازدحمت واضطربت مثل الموج.
(٢) تتـــــــردد.

ورجَعَت السيدة خديجة - رضي الله عنها - إلى أحِبَّـائها، شَـدِيدَةَ الفَـرَحِ بنـورِ الإسـلامِ، الَّذى يشـتَـدُّ ضيـاؤُه ويَمْـتَـدُّ، لا يَعوقُه[1] ما يُقِيمُ الأَشْرارُ أمامَه من السُّدودِ والحَواجِزِ.

وأَبو لَهبٍ وامْرأتُه قابِعانِ[2] فى دارِهما، حُزْنًا وألَمًا، يَنظُران إلَى المُؤْمِنين وهُم يَدْخُلون دارَ خديجة رضي الله عنها جَماعاتٍ جماعاتٍ، ويَظَلاَّن ساهِرَيْن من شدَّةِ ما بِهما، وكَيْفَ ينامان أو يَسْتَقِرَّانِ، وآياتُ القُرْآنِ الكَرِيمِ تَنْبَعِثُ من بيتِ جارَتِهِما، وتَصِلُ إلى أسماعِهما سِهامًا قاتِلةً؟!

وقضَيا ليلَتهما فوقَ سَطحِ بَيْتِهما، يَنظُرانِ إلى دارِ خديجةَ رضي الله عنها نظراتٍ مُلْتَهِبَةً، يوَدُّ كلٌّ مِنْهُما لَوْ أَشْعَلَ النارَ فى الدَّارِ فالتَهَمَتْها وأَتَتْ علَيها[3].

فلمَّا أصبحَ الصباحُ، انْطلَقَ أبو لهبٍ إلى مُنْتَدى[4] قُرَيْشٍ،

---

(١) لا يقف فى طريقه.
(٢) مختفيـــــان.
(٣) لم تبق منها شيئًا.
(٤) النادى، وهو مجتمع القوم الذى يتحدثون فيه ويتشاورون.

يَصِيحُ مُرْتَعِدًا، وعَيْناه تَنْطِقَانِ بما نالَه من الأَرَقِ الشَّدِيدِ، يقول للقَوْمِ فى فزَعٍ:

إلى متى نصبر أيها القوم؟ أَنَصْبِرُ حتى يُفْلِتَ الزِّمامُ من أَيْدِينا؟!

لم يَعُدِ العِلاجُ سِبابًا ولا شَتائِمَ، ولا حِصَارًا وحَبْسًا، ولَيْسَ هُناكَ غيرُ السَّهْمِ الأَخِيرِ!

- لَكِنَّ محمدًا ابْن أخِيكَ يا عبدَ العُزَّى، فَبِمَ تُشِيرُ؟!

فاشْتَدَّ هِياجُه، وجعَل يصيحُ فى غضبٍ، قَائِلًا:

– فَصَلْنا[١] تلكَ القَرابَةَ، وقَطَعْنا هَذِه الصِّلَةَ، ولم يَبْقَ بَيْننَا وبينَ محمدٍ نَسَبٌ[٢] ولا سَبَبٌ[٣]!

فَلَمَّا لفَت الرجلُ نَظَرَه إلى أَخِيه أَبِى طالبٍ، انفَجَرَ قائِلًا فى حِدَّةٍ[٤]:

– وأَبو طالبٍ كَذَلِكَ! لم يَعُدْ أَخِى! قطَعتُ ما بَيْنِى وبَيْنَه من أجلِ محمدٍ، فاصْنَعُوا ما شِئْتُم!

---

(١) قطعنـــا.
(٢) قرابـــة.
(٣) صلـــة.
(٤) شـــدة.

أَطْفِئُوا هَذِه النارَ الَّتي تَمْتَدُّ حتى بلغتْ بيوتنا، بل إنَّها خَرجَت من مكةَ إلى غيرِها!!

ألَمْ تَرَوا أنَّ محمدًا يَعْرِضُ نفسه على القبائِلِ، ويُبَشِّرها بدِينِه، ويُحاوِل أنْ يَجُرَّها إليه؟!

وَهلْ حرَّك أبو طالبٍ ساكِنًا، أَمامَ ما يَرَى مِنْ مُحمدٍ؟! إنَّه يُبارِكُه، ويُشَجِّعُه، ويَوَدُّ لِدينِه أن ينتشرَ ويَعُمَّ الآفاقَ!

أما يَكْفِيكُم بُرْهَانًا على مشاركته لمحمد، أنَّه حرَسَه، ودخَل معَه الشِّعْبَ؟! فَماذا تَنْتَظرونَ معه بعدَ ذلك؟!

لكنَّ الداءَ الأكبَرَ أيُّها القومُ، يَكْمُنُ[1] في بيت خديجةَ ومالِها ومَنْ حَوْلَها!

قَوْمُ خديجةَ أيُّها الرِّجالُ مَعَ محمد، ولا يَغُرَّنَّكُم بعضُ من تَأَخَّرَ إسلامُهم مِنْهُم!

أَلا تَرَوْنَ أُخْتَها هالةَ وابْنَها، لم يُسْلِما، لكنَّهما لم يُخاصِما محمدًا، ولم يَنْقَطِعا عن دارِ خديجةَ؟!

---

(١) يستتــــــر.

ألم تَرَوْا بعضَهم مِمَّن لم يَدْخُلِ الإسلامَ ظاهِرًا، لم يَتأَخَّرْ عنِ التَّسَلُّلِ فى الظَّلام إلى الشِّعبِ بالطَّعامِ، لِيُفْسِدَ علينا خُطَّتَنا ويُحَطِّمَ تَدْبيرَنا؟!

ألم تَرَوْا أَوْلادَ أُخْتِ خديجَةَ، قدِ اعْتَنَقوا الإسلامَ واحِدًا واحِدًا، وتَعَصَّبُوا له أشدَّ التَّعَصُّبِ؟!

وبعدَما التَقَط بَعْضَ أَنْفاسِه، عادَ يقولُ مُرْتَعِدًا:

– لا يَخْدعَنَّكم أيُّها الناسُ، بعضُ مَنْ يُظْهِرُ لَكُمْ عَداوَة محمد مِن قَوْم خدِيجةَ، فإنَّهم إنْ لَمْ يَكونوا عُيُونًا[1] لَها، فإنَّهم يُفكِّرون فِى الإسلام، ويهُمُّون بالدُّخولِ فيه.

ثم رفعَ صوتَه أكثَر، وجعَل يَدُقُّ بِيَدِه الأَرْضَ دقًّا عنِيفًا، وهَو يقولُ فى شدة:

– ابدءُوا بخديجةَ وأَزيحوها، فكُلُّ شَىْءٍ يَهونُ بعدَها، وأَسْرِعوا قبلَ أنْ تَسرِقَكم الأَيَّامُ، وتَعْجزُوا عن العملِ!

قال واحدٌ منهم فى هُدوء:

(١) جواسيـــس.

– وإذا بَدأْنا بِأَبِى طالبٍ يا عَبْدَ العُزَّى!!

فاستَشاطَ[1] غضَبًا، وجعَل يصيحُ مُنْتفِضًا:

– قَدْ بَيَّنْتُ لكم رَأْيِى، فابدءُوا حَيْثُ شِئْتُم، لكِنْ لا تَنامُوا ولا تَغْفلوا ولاَ تَتَأَخَّروا، فالأمْرُ جِدٌّ، وتأْخِيرُ العملِ يومًا يُؤَخرنا سَنَةً، وإذا تأَخَّرْنا انْتَصَر محمدٌ وانْهَزَمْنا وذَهَبَتْ رِيحُنا[2]!

فتَشاوَروا، وتبَادَلوا الآراءَ بَيْنَهم، ثم اتَّفقوا علَى أن يَبْدءُوا بأَبِى طالب، فقالَ واحِدٌ مِنهم فِى إِشْفاقٍ:

– دَعُوا أبا طالبٍ أيُّها القومُ فِى مَرَضِه، فإنَّه يُعانى[3] الشَّيْخوخَةَ المُوهِنَةَ[4]، ويُقاسى مَعَها ما أَلَمَّ[5] به هَذِه الأَيامَ من الدَّاءِ العَنِيفِ! لا تَذْهَبوا إليه وتُضاعِفوا هَمَّه وبَلاءَه، ولا أَرَى إلاَّ أنه ماضٍ الَيْومَ أَو غَدًا.

فعادُوا يَتشاوَرون، ثم استقَرَّ رأْيُهم على أَن يُمْهِلُوا أبا طالبٍ ولا يَمَسُّوه بـأَذًى، وأَنْ يُخاطِبوه فى أمرِ محمدٍ، فإمَّا أقْنعه

(١) اشتد غضبه عليه.
(٢) ضاعت قوتنا.
(٣) يقاسى.
(٤) المضعفة.
(٥) نزل.

بالعُدولِ عن دِينهِ، وإمَّا نَفَضَ منه يدَه، وخَلَّى بينَهم وبينَه، وإما الثَّالِثةُ التى لا مَفَرَّ منها بعدَ ذلك وهى العُدوَانُ عَلَيْهما معًا.

ولم يَتَمَهَّلوا، وأَرْسَلوا بعضَهم إلى أَبى طالبٍ، فَذَهَبوا إلَيْه وحادَثوه فى أمرِ محمدٍ ﷺ، فلَم يَصِلُوا معَه إلى حَلٍّ يُرْضِيهم، وكان الرسولُ ﷺ معَهم، فَرأَى ما فِى عُيونِهم من الشَّرِّ، وما فى أَصْواتِهم من القَسْوَةِ، فخرجَ بعدَهم وذَهَب إلى دارِه، وجَلَس صامِتًا يفكِّر فيما رأَى وما سَمِع.

وما لبِثَ أنْ أَقبلَ النَّاعِى[1] يَنْعى إلى مكةَ سيِّدَها أبا طالبٍ، فانْقَبَضَ صَدْرُ الرسولِ ﷺ، وقَدْ أَحَسَّ بِأَنَّ رُكْنًا كبيرًا من حِصْنِه[2] قد انْهَدَّ، وأسرعَ بالذهابِ إلى عمِّه الذى رَبَّاه وناصَرَه، لِيُلْقِىَ عليه النَّظْرةَ الأخيرةَ، وهوَ يرَى أَنْيابَ قُريشٍ بارزة عن الشَّرِّ، ووجوهَهم مُنْذِرةً بما فى قلوبِهم من تَدْبيرٍ خطِيرٍ، وقَسمَاتِهم ناطِقةً بالشَّماتَةِ[3]، تَقول فى صَراحَةٍ:

- ماتَ نَصِيرُك يا محمدُ، ولم يَبْقَ غيرُ خديجةَ رضي الله عنها،

---

(١) المخبر بخبر الميت.
(٢) الحصن: الموضع المنيع الذى لا ينال.
(٣) الفرح بمصيبة الغير.

وسوفَ نَهْدِمُ هذِه الدِّعامَةَ الثَّانِيَةَ الَّتى تَعْتَمِدُ عليها بعدَ أبِى طالبٍ، وتَقَعُ فى أَيدِينا.

وَلَمْ يَمْضِ قليلٌ على موتِ أبى طالبٍ، حتى بَدَت نُذُرُ الشرِّ، واشْتَدَّتِ المَعْركةُ، وأخذَ النبىُّ ﷺ يَخوضُ غِمارَها[1] والسيدة خديجةُ رضي الله عنها بجانبِه تُعِينُه وتناصره.

وكلَّ يومٍ تَزْدادُ المعركةُ شِدةً، وتَزِيدُ نارُها اشتِعالاً، ويظهرُ فيها لَوْنٌ جَديدٌ من القَسْوَةِ والعُنْفِ.

وكلَّ يومٍ يُقتنِعُ الكفارَ بِأَنَّه يَتَحَتَّمُ علَيهم التَّخلُّصُ من خَديجةَ رضي الله عنها إِذا كانوا يُرِيدُون أَنْ يَتَخلَّصوا مِن محمدٍ ﷺ.

(١) شدائدها.

- خروج المسلمين من الحصار سالمين أثار إعجاب كثير من كفار مكة بالدين الجديد ورأوا فى نجاح المسلمين من الحصار معجزة تدل على صدق محمد ﷺ واتصاله بربه فأعلنوا إسلامهم.
- الأزمات والشدائد تزيد المخلصين إيمانًا وقوةً وصلابةً.
- حب أهل السيدة خديجة رضي الله عنها لها جعلهم يساندون محمدًا ﷺ وأصحابه حتى من لم يسلم منهم كان يساعد المسلمين.
- كان أبو طالب عم النبى ﷺ أكبر عون له على الرغم من أنه لم يعلن إسلامه.

السؤال الأول: أكمل ما يلى:

(ا) عادت السيدة خديجة ﵂ من الحصار .... بنصر الله وماجت .... بجموع المهنئين.

(ب) قضى .... وامرأته .... ليلتهما فى حزن بعد عودة المسلمين من الحصار.

(جـ) رأى أبو لهب أن مواجهة محمد ﷺ لم تعد .... و................ بل استخدام السهم الأخير.

السؤال الثانى: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلى:

(ا) قطع أبو لهب صلته بأخيه أبى طالب وابن أخيه محمد ﷺ. ( )

(ب) كان أبو لهب يرى أن الداء الأكبر يكمن فى بيت أبى طالب. ( )

(جـ) قاطع قوم خديجة ﵂ محمدًا ﷺ ولم يساندوه. ( )

(د) اعتنق أولاد أخت خديجة ﵂ الإسلام. ( )

السؤال الثالث: بين السبب فيما يلى:

(ا) عرض محمد ﷺ نفسه على القبائل.

(ب) كان أبو لهب يريد أن تبدأ قريش بقتل السيدة خديجة رضي الله عنها.

السؤال الرابع: تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

(ا) طلب بعض المشركين أن يتركوا أبا طالب:

(لمرضه وشيخوخته - لتجنبه محمدًا - لبطشه وقوته)

(ب) حين خاطبت قريش أبا طالب فى أمر محمد ﷺ:

(وعدهم بمعاداته - نهرهم وطردهم - لم يصلوا لحل)

السؤال الخامس: صل كل عبارة من المجموعة (أ) بما يناسبها من المجموعة (ب):

(ا)	(ب)
١- انتظر الكفار موت أبى طالب	١- لأن أبا طالب أشرف على الموت
٢- حين سمع الرسول ﷺ بوفاة أبى طالب	٢- انقبض صدر الرسول ﷺ
٣- حزن الرسول ﷺ	٣- ليضاعفوا تعذيب المسلمين

٩ وداع وأســـى

اشْتَدَّ خَوْفُ السيدة خَديجةَ ﵂ علَى رَسولِ اللهِ ﷺ من المُشْركينَ وأَذاهُم، فزادَ نَشاطُها فيما تَقومُ به مِن مُعاوَنَتِه، ومُواساتِه، وتَثْبيتِ فُؤادِه، برقِيقِ القولِ وطَيِّبِ الكلامِ.

ومعَ أنَّها أتمَّت الخامِسَةَ والسِّتِّينَ من عُمرِها، فقد كان قلبُها شابًّا فى رَيْعانِ قوته[1]، يَنْبضُ بصادِق الإيمان، ويتحرَّك بقوةِ اليَقينِ، والرسولُ ﷺ يَرْجو أَنْ تَمْتَدَّ حياتُها حتى تُتِمَّ رسالَتها، وهىَ تَرْجو أن تَطولَ هذِه الحياةُ حتى تَرى نصرَ اللهِ، وتُشاهِدَ الشمسَ الكبيرةَ، وهىَ تُضِيءُ جوانبَ الدُّنيا، وتَمْحو ظلامَ الكفرِ والطغيانِ.

وكلَّما زادَ المشرِكون طُغْيَانًا وإِيذاءً للرَّسول ﷺ زادَت إِشْفاقًا علَيه، وحَماسًا فى رَدِّ كَيْدِهم عنه. وكلَّما تقدَّمَت بها السِّنُّ، زادَ تعلُّقُ الرسولِ ﷺ بِها وحُبُّه لَها، وعطفُه عليها.

---

(١) أولها، وريْعان كل شيء أوله، ومنه رَيْعان الشباب.

ولم يكنِ الرَّسولُ ﷺ يَظُنُّ أَنَّ رِسالَتَها قَدِ انْتَهَت، وأَنَّها تَسْعَى إلى جِوارِ ربِّها، تارِكةً المَيْدانَ، وسِهامُ المشرِكين تُوضَعُ فى القِسيِّ[1]، وأَسْلِحتُهم تُعَد[2] اسْتِعْدادًا للمعركةِ الفاصِلَةِ بينَهم وبينَ الرسولِ ﷺ ودِينِه.

لم يكنْ يَظُنُّ أَنَّها سَتَمْضِى سريعًا بعدَ أبِى طالب، وتَتْرُكُه ولَمْ يَعُدْ له سِواها.

فَبَيْنما كانا جالِسَيْن ذاتَ ليلةٍ مُطْمَئِنَّين، يَدْعُوان اللهَ، ويَستْغفِرانِه، ويقرءانِ القرآن، ويَتَذاكرانِ تعاليمَ الإسلام، أحسَّت بِرِعْدَةٍ تَسْرِى فى جَسَدِها، وشَعَرَت بفُتورٍ اعْتراها[3]، فنظرَت إلى الرسولِ - ﷺ - وأَطالتِ النظَر ثم قالت فى حنانٍ:

- سَيَنْصُرُك اللهُ يا رسولَ اللهِ! لَنْ يُطْفِئوا نورَ اللهِ أَبدًا، ولن يَتْرُكَ اللهُ نورَه لأَفواهِهم، بلْ سَيُتِمُّه ولو كرِهَ الكافِرون.

فأَحَسَّ الرسولُ - ﷺ - بما بَدا عليها من الفُتورِ، وبما فى كلامِها من إشاراتٍ بَعيدَةٍ، ومَدَّ يدَه وجسَّ كفَّها، فشعَرَ بما دَبَّ

---

(١) الأقواس، جمع قوس.
(٢) تحـــدُّ.
(٣) أصابها.

فى جَسدِها من الحرارَةِ، ووجَّه البصرَ إليها وهىَ تَنْظُرُ إليه فى حَنانٍ، وتَشْكُرُ له عِنايَتَه بِهَا، وعَطْفَه علَيها.

كانَ كلُّ مَن فى مكةَ مَشْغولًا بالسيدة خديجةَ ﵂ يسألُ عنها، ويَودُّ أن يعرِفَ أخبارَها: المحِبُّون والمُبْغِضون، وكلُّ مُجْتَمَعٍ ونادٍ يتحدَّث عنها بما يَحْلُو له، وأَسْماعُهم مُرْهَفَةٌ، لِتَلْتَقِطَ النبأَ الذى يُؤَكِّدُ الكَثيرون أنَّه أوْشَكَ أن يُذاعَ.

والرَّسولُ ﷺ وبناتُه ينظُرون إلى خديجةَ ﵂ فى حَسْرَةٍ، عاجزِين عن أنْ يَصْنَعوا لها شَيْئًا وهِىَ تُسرِع إلى نِهايَتِها، لا يَهُمُّها سِوَى رسولِ الله ﷺ وما سَيَنالُه بعدَها من الأذَى والشَّرِّ.

وكلَّما تذكَّرت المشركِين وأذَاهم اتَّجَهَت برأسِها إلى رسولِ الله ﷺ، وقالَت بصوتٍ خَفيض مُتَقَطِّعٍ:

- سَينصُرُكَ اللهُ يا رسولَ اللهِ! لَنْ يُطْفِئوا نورَ اللهِ، ولن يَتْرُكَ اللهُ نورَه لأَفواهِهم، بَلْ سَيُتِمُّه ولو كَرِه الكافِرون.

فَتَزِيدُ دموعُ مَن حوْلَها انهمارًا، ويُدِيرُ رسولُ الله ﷺ رأْسَه، ليُفْرِغَ دموعَه الغَزيرَةَ الَّتى ازْدَحَمَت فى عينَيْه، ثم يَعودُ إلى

خديجة رضي الله عنها، ويَجِسُّ نَبْضَها، وَيَتَعرَّفُ حرارَتها، فَيزْداد حزنًا وألمًا، حينَ تَنْقُلُ إليه يدُه أنَّ الباقيَ لها من الوقتِ قليلٌ.

كانَت ليلةً طويلةً باكيةً، سهِرَت فيها دارُ السيدة خديجةَ رضي الله عنها مُتَفَطِّرَةَ القلوب، تَتَوسَّلُ وتدْعو، خديجةُ رضي الله عنها في فراشِها، والرسولُ ﷺ بجانبها قد أسْلَم أمرَه إلى ربِّه، وأطرَق مَحْزونًا، يزيدُ ما به لَحْظَةً بَعْدَ لَحْظةٍ، وهي تَقْتَرِبُ مِن نِهايَتِها ساعةً بعدَ ساعةٍ.

حتى كان وقْتُ السَّحَرِ، فَفتحَت عينَيها، ونظرَت إلى الرسولِ ﷺ وإلى بناتِها نَظَراتٍ طويلةً، تَزَوَّدَت بها من أحبَّتها للرِّحْلَةِ التي لا رَجْعَةَ منها، ثم أطْبَقت أجفانَها، باسِمَةً راضِيةً، ترَى مَثْواها، وما أُعِدَّ لها فيه مِن نَعيمٍ مُقيمٍ وكانَ ذَلِكَ في السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ البَعْثَةِ.

وسَكَنَ الجسدُ النَّشِيطُ الذي تحركَ طويلًا في سبيلِ الله، ومن أجلِ دِين الله، فانْهَمَرَتْ دُموعُ الرسولِ ﷺ على خَدَّيه، وبكَت بناتُه بكاءً حارًّا عاليًا، وضَجَّتِ الدارُ كلُّها بالبكاءِ والنَّحِيبِ.

وفِي الصَّباحِ كان النَّعْشُ الطَّاهِرُ يَسيرُ بالجسدِ الطَّاهِرِ من الدار، مَحْمولًا على أعْناقِ المسلِمين الَّذِين يتَزاحَمون علَى حمله

إلى مقابرِ قريشٍ فى الشَّمالِ الشَّرْقىِّ من مَكة حتى بلَغوا الحجُون، ووصَلوا إلى المقبرة التى رقَدَ فيها القرَشيون مُنذ زمنٍ بعيدٍ.

وعلَى حافَةِ القَبْرِ وضَعوا النَّفْسَ الطاهِرَةَ، ونزَل الرسولُ ﷺ إلى جَوْفه، وسَوَّى قبرها بيدِه الشَّريفَةِ، وتَقَبَّلَ جُثمانَها الطاهرَ، وأَرْقدَه برِفْقٍ فى مَضْجَعِه الأخِير، وألْقَى على وَجهِه نظرةَ الوداعِ باكيًا بغزيرِ الدموعِ، ثم خَرج من القبرِ ناكِس الرَّأْسِ، دامعَ العَينَيْن مَحْزونَ الفُؤاد.

وبعدَما سُوِّيَ الترابُ على القبرِ الطاهرِ، وقفَ يَتقبَّلُ عزاءَ المسلِمين فى خديجةَ أُمِّ المؤْمِنين رضي الله عنها، والناسُ يُسَلِّمون علَيه عاجزِينَ عنِ القولِ، تُعَبِّر دُمُوعُهم عمَّا فِى صُدُورِهم مِنْ حُزنٍ.

ثم عادَ إلى البيتِ، وجَلَسَ سَقِيمًا، شَديدَ الأسَى، يُحِسُّ بالفَراغِ الشاسِعِ الذى تَركَته السيدةُ خديجةُ رضي الله عنها ويَرْتَقِبُ ما سيَصْنَعُ المشرِكون بعدَما انْهَدَمَ الركنُ الرَّكِينُ الذى كان يَعْتَمِدُ بعدَ اللهِ عليه فى جِهادِ أُولئك المشرِكين المُتَنَمِّرين الَّذين زادَت عُيونُهم شَرَرًا، وأنْيابُهم بُروزًا.

- الإسلام يجعلُ العلاقةَ بين الزوجين المسلمين تزدادُ قوةً بتقدمهما فى السن ويزداد الود والرحمة بينهما.
- لم تنس السيدة خديجة ﵂ أمر نصرة دينها على الرغم من معاناتها الشديدة فى مرض الموت.
- قدَّم الرسول ﷺ المثل والقدوة فى وفائه لأم المؤمنين السيدة خديجة ﵂ التى ساندته وضحت من أجل الإسلام ومن أجل نصرته.
- بوفاة أم المؤمنين السيدة خديجة ﵂ انهدم حصن من الحصون التى كانت تحمى الإسلام والمسلمين، وشعر المسلمون بأن الابتلاء سيزداد وتعرضهم للأذى سيتضاعف.

السؤال الأول: أكمل ما يلى:

(ا) اشتد خوف السيدة خديجة رضي الله عنها على .... من أذى المشركين فزادت من .... ومواساته.

(ب) لم يكن الرسول ﷺ يظن أن السيدة خديجة رضي الله عنها ستمضى سريعًا بعد .... وتتركه ولم يعد له ....

السؤال الثانى: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلى:

(ا) أتمت السيدة خديجة رضي الله عنها الخامسة والستين وقلبها ما زال شابًا. ( )

(ب) إيذاء المشركين للرسول ﷺ أصاب السيدة خديجة رضي الله عنها بالإحباط. ( )

(جـ) كلما تقدمت السن بالسيدة خديجة رضي الله عنها زاد تعلق الرسول ﷺ بها. ( )

السـؤال الثالـث: صـل كل عبـارة مـن المجموعـة (أ) بمـا يناسـبها من المجموعة (ب):

(أ)	(ب)
١– الرسول ﷺ وبناته ينظرون إلى خديجة رضي الله عنها في حسرة	١– الذى تحرك طويلًا فى سبيل الله
٢– سكن الجسد النشيط	٢– يسأل عنها ويتعرف أخبارها
٣– كل مـن فـى مكـة مشغـول بالسيدة خديجة رضي الله عنها	٣– وقف يتقبل العزاء
	٤– عاجزين عن أن يصنعوا لها شيئًا

١٠ ذكريات ووفاء

أَحَسَّ النَّبِيُّ ﷺ بعدَ خديجةَ رضي الله عنها بِفراغٍ ووَحْشَةٍ، وكُلَّما تذكَّرَ جهادَها وعطفَها وبِرَّها، اشْتدَّ به الحُزْنُ وفاضَ بِهِ الأَسَى(١)، حتى بَدا(٢) أَثَرُه في وَجهِه وَجِسْمِه.

أمَّا المُشرِكون فَهزَّهم الفرحُ لِمَوْتِها، وقالَ بعضُهم لبعضٍ:

– لَمْ يَبْقَ أمامَكم أبو طالبٍ ولا خديجةُ!

فما كادَ النَّبيُّ ﷺ يخرجُ من بيتِه بعدَ العَزاء، حتى اعْتَرَضَه سُفهاؤهم يُؤْذُونَه بالسِّباب والشَّتائمِ البذيئةِ، ثم أَلْقَوا الترابَ علَى رأسِه، فعادَ إلى البيتِ حزينًا، يذكرُ السيدة خديجةَ رضي الله عنها وابْتِسامَتَها العَذْبَةَ، حين كانت تُقابِلُه في مثلِ هذا العُدْوانِ، فتُزيلُ همَّه(٣) وتَصرفُ عنه ما بِه.

---

(١) الحــزن.
(٢) ظهـــر.
(٣) حزنـــه.

فَلَمَّا رأَته ابْنَتُه فاطمة ﵂ أَسرعَت إليه، وغَسَلَتِ التُّرابَ عن رَأْسِه، باكيةً، ذاكرةً أُمَّها وما كانت تصنَعه، فاشتدَّ التأثُّر بالرسولِ ﷺ وبَكى ودَعا للسيدة خديجةَ ﵂.

ثم أَخَذَ يَدْعو إلى اللهِ، ويتَعرَّضُ لأَذَى المشرِكين، لا يَنْسَى خديجةَ ﵂، ولا يَطِيبُ حديثٌ حتى يذكُرَ برَّها، وحَنانَها.

وكان يُحِبُّ ابْنَتَه رُقَيَّةَ ﵂ حبًّا شديدًا، لأَنَّها كانت كبيرَةَ الشَّبَهِ بِأُمِّها خديجةَ ﵂ يُذَكِّرُه بها جمالُها، وإِشاراتُها، وألفاظُها، وَبسْمَتُها الرَّقيقةُ وعَقلُها الكَبيرُ، فَيَدْعوها ويُطِيلُ النظرَ إليها، كما يُطيلُ الاسْتِماعَ إلى حدِيثها.

فَلَمَّا ماتَت رُقَيَّةُ ﵂، بَكَى، وأحسَّ بحزنٍ شديد، وشَعَرَ وهو يَدْفنُها أنَّه يَدْفِنُ ابْنَتَه، ويَدْفِنُ زوجتَه خديجةَ الوَفِيَّةَ ﵂.

وكان لا يَخْرجُ مِن البيتِ، إلاَّ ويَذْكُر السيدة خديجةَ ﵂ ويُثْنى عليها، ويَدْعو لها، وكان كلُّ نَصْرٍ يُذَكِّرُه بالسيدة خديجةَ ﵂ التى كانت تفرَحُ له، وكلُّ هَزِيمَةٍ تُذَكرُهُ بالسيدةِ خديجةَ ﵂ التى كانت تَتأَلَّمُ لها وتواسِيه فيها.

كان إذا غَنِمَ تذكَّر السيدةَ خديجةَ رضي الله عنها ووَدَّ لو كانت حاضِرَةً، فَيُعْطِيها، ويَرُدُّ لَها بعضًا من جَمِيلها.

وكان يَغْتَنِمُ كلَّ فُرْصَةٍ ليَعِيشَ مع رُوحِها، فكان يُعْطى مَوالِيَهَا[1]، ويَصِلُ صدِيقاتِها، ويَبَرُّ حَبيباتِها، وكان إذا ذَبَحَ الشَّاةَ يقولُ باهتِمامٍ:

- أَرْسِلوا إلى صَديقاتِ خديجةَ رضي الله عنها فإنِّي أُحبُّ حَبِيباتِها.

وَفَّى لَها رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم كما وفَتْ للهِ ورسولِه صلى الله عليه وسلم، وعاشَ يذكُرها ولا يَنْساها، حتى لَحِقَ بالرَّفِيقِ الأَعْلَى.

بادَلَها وَفاءً بِوَفاءٍ، وجعَلَها لِلْمُؤمنين والمُؤْمنات مَثلًا لِلْبِرِّ، والحنَانِ، والإِخْلاصِ، وحُبِّ اللهِ وحُبِّ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم...

(١) أي عبيدها المعتقون.

من ثمار هذا الفصل

- بعد وفاة أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها ازداد أذى الكفار بالنبى ﷺ وأصحابه وشعر النبى ﷺ بافتقاده تأييد السيدة خديجة رضي الله عنها.
- السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت تقوم بدور أمها السيدة خديجة رضي الله عنها فى مواساة النبى ﷺ والتخفيف عنه.
- كان النبى ﷺ يتذكر أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها مع كل حدث يمر به حبا ووفاء لها.
- من البر بمن نحب أن نبرَّ ونحسنَ إلى من كانوا يحبونهم ويحسنون إليهم.

السؤال الأول:

«أحسَّ النبـىُّ ﷺ بَعْدَ خَدِيجَـة رضي الله عنها بِفَـرَاغٍ وَوَحْشَةٍ، وكُلَّمَا تَذَكَّرَ جِهادَهَا وعَطْفَها وَبرَّهَا، اشْتَدَّ بِهِ الحزْنُ وفاضَ بِهِ الأَسَى، حتى بدا أثرُهُ فى وَجْهِهِ وَجِسْمِهِ».

(ا) تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يلى:

- معنى «الأسى»: (الإِسَاءَة – الحُزْن – الفراق)
- مَعْنَى «بدا»: (بَدَأَ – عَلَّمَ – ظَهَرَ)

(ب) مَاذَا كَانَ مَوْقِفُ المُشْرِكينَ من وَفَاةِ السَّيدَةِ خَديجةَ رضي الله عنها .

(جـ) من الذى حَلَّ مَحَلَّ السيدة خديجة رضي الله عنها فى التخفيف عن رسول الله ﷺ؟

طبعة ٢٠٢١ / ٢٠٢٢م

السؤال الثانى:

كان رسـول الله ﷺ يحب ابنته «رقية» رضي الله عنها حبًّا شديدًا، فما السر فى ذلك؟

السؤال الثالث:

«ظلَّ النَّبِىُّ ﷺ وَفِيًّا للسيدة خديجة رضي الله عنها بعد موتها».

- اذكر بعض المواقف التى تَدُلُّ على ذلك.

السؤال الرابع:

من أكثر أولاد السيدة خديجة رضي الله عنها شبهًا بها؟

المحتويات

رقم الكتاب	مقاس الورق	ورق المتن	ورق الغلاف	ألوان الكتاب	عدد صفحات الكتاب	عدد الملازم	مقاس الكتاب
٧٦/١٠/١/٣٣/٦/٦٤	$\frac{١}{١٦}$ ٦٣ × ٩٤ سم	٧٠ جرام	١٨٠ جرام كوشيه	المتن والغلاف ٤ لون	١٣٢ صفحة بالغلاف	٨ ملازم	١٥,٢٥ × ٢٢,٥ سم

طبع بمطابع دار نهضة مصر للنشر بالسادس من أكتوبر

رقم الإيداع : ٢٠٢١/٧٨٧٠

العام الدراسى: ٢٠٢١ / ٢٠٢٢ م ــ ١٤٤٣ هـ

- اغسل يديك قبل الأكل وبعده تأمن على نفسك من كثير من الأمراض المعدية.
- الرياضة تقوى الجسم وتنشط العقل.
- اعتن بنظافة جسمك وملابسك وبيتك ومدرستك.
- الصدق والأمانة من الصفات الحميدة التى يجب أن تتحلى بها.
- استذكر دروسك أولاً بأول، ولا تؤجل عمل اليوم إلى الغد.
- أمراض العيون المعدية يمكن تجنبها بالحرص على غسل الأيدى والوجه بالماء والصابون بصفة منتظمة.
- لا تتكلم فيما لا تعرف، ولا تتدخل فيما لا يعنيك.
- الأشجار والزهور من نعم الله .. فحافظ عليها ولا تعبث بها.
- استيقظ مبكرًا ونم مبكرًا.
- نظافة مدينتك أو قريتك عنوان لك أمام العالم.
- النظافة من الإيمان.

http://elearning.moe.gov.eg

رقم الكتاب	مقاس الورق	ورق المتن	ورق الغلاف	ألوان الكتاب	عدد صفحات الكتاب	عدد الملازم	مقاس الكتاب
٧٦/١٠/١/٣٣/٦/٦٤	١/١٦ ٦٣ × ٩٤ سم	٧٠ جرام	١٨٠ جرام كوشيه	المتن والغلاف ٤ لون	١٣٢ صفحة بالغلاف	٨ ملازم	١٥,٢٥ × ٢٢,٥ سم

طبع بمطابع دار نهضة مصر للنشر بالسادس من أكتوبر